دفع الشبهة والغرر
عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر

تأليف العلامة مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي
المتوفى سنة ١٠٣٣هـ

حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه
د. عبدالله بن سليمان الغفيلي
الأستاذ المساعد بكلية الدعوة وأصول الدين
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

كل الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م

طبع ونشر وتوزيع

دار البخاري للنشر والتوزيع

المدينة النبوية ـ بريـــــدة

٨٤٧١٩٧١ ـ ٣٢٣٦٠١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم
"المقدمـــة"

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمـون﴾(١) **﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء * واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾**(٢) **﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم * ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما﴾**.(٣)

أما بعد:

فإن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان وأصل من أصوله لايتم إيمان العبد إلا بالإيمان به. ولقد ضل فيه الضالون وانحرف فيه المنحرفون عن الطريق القويم والنهج السليم ولم يسلم إلا من سلك طريق المؤمنين واتبع سبيل سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام.

يقول(٤) الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى: "وقد سلك جماهير العقلاء في هذا الباب في كل واد، وأخذوا في كل طريق، وتوَلّجوا كل مضيق، وركبوا كل صعب وذلول، وقصدوا الوصول إلى معرفته، والوقوف

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٠٢).
(٢) سورة النساء: آية (١).
(٣) سورة الأحزاب: آية (٧٠).
(٤) شفاء العليل (٣،٤).

على حقيقته، وتكلّمتْ فيه الأمم قديماً وحديثاً، وساروا للوصول إلى مغزاه سيراً حثيثاً، وخاضت فيه الفِرَق على تباينها واختلافها، وصَنّف فيه المصنّفون الكتب على تنوع أصنافها. فلا أحد إلا وهو يحدّث نفسه بهذا الشأن، ويطلب الوصول فيه إلى حقيقة العرفان فتراه إما متردداً فيه مع نفسه، أو مناظراً لبنى جنسه، وكلٌّ قد اختار له قولاً لايعتقد الصواب في سواه، ولا يرتضى إلا إياه. وكلهم -إلا من تمسك بالوحى- عن طريق الصواب مردود، وباب الهدى في وجهه مسدود، تحسّى عِلْماً غير طائل، وارتوى من ماء آجن[1]، قد طاف على أبواب الأفكار، ففاز بأخس الآراء والمطالب، فرح بما عنده من العلم الذى لايُسمن ولا يُغنى من جوع، وقدّم آراء من أحسن به الظن على الوحى المنزل المشروع، والنص المرفوع، حيران يأتمُّ بكل حيران، يحسب كل سراب ماء، فهو طول عمره ظمآن، يُنادىَ إلى الصواب من مكان بعيد، أَقْبِل إلى الهدى، فلا يستجيب إلى يوم الوعيد، قد فرح بما عنده من الضلال، وقنع بأنواع الباطل وأصناف المحال، منعه الكفر الذى اعتقده هدى وماهو ببالغه عن الهداة المهتدين، ولسان حاله أو قاله يقول: ﴿**أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا، أليس الله بأعلم بالشاكرين**﴾.[2]

ففهم هذا الباب على الوجه الصحيح والإلمام به له أهمية كبرى وقد وفّق الله سبحانه وتعالى السلف الصالح رحمهم الله تعالى لفهم هذا الباب والسير فيه على الطريق القويم وذلك لاتباعهم لكتاب الله عز وجل

---

(١) الآجن: الماء المتغير الطعم واللون، أجُن الماء بضم الجيم إذا تغير. لسان العرب (٨/١٣).

(٢) سورة الأنعام: آية (٥٣).

وسنة رسوله ﷺ بينما ضلت فيه الفرق الآخرى فما من فرقة إلا وقالت فيه برأيها، وما من نحلة إلا ولها كلام في القدر حتى ظهرت طائفة من المبتدعة تركت الواجبات واستباحت المحرمات، ورفعت الأحكام قائلين إن الأقلام رفعت والصحائف جفت وإن هذا مقدر ومكتوب لاحيلة إلى رفعه، وهذا في غاية الخطورة لأنه يؤدى إلى ترك العمل بالدين والقول بقول المشركين، وقد تصدَّى السلف الصالح رحمهم الله تعالى لهذه الشبهة وبيّنوا الحق فيها، ومن الذين كتبوا في الرد على هذه الشبهة الإمام العلامة مرعي ابن يوسف الكرمي حيث ألف هذا الكتاب اللطيف «دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصى بالقدر» وهو وإن كان صغير الحجم فإنه كبير الشأن عظيم النفع في بابه لأنه أوضح الحق في هذه المسألة ونقل كلام أهل العلم فيها خصوصاً شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى الذى له باع طويل فى هذا الموضوع.

وقد رأيت أن أحقق هذا الكتاب لأنه سيسهم -إن شاء الله تعالى- في إنارة الطريق أمام طلاب الحق في هذه المسألة حتى يكونوا على بصيرة من أمرهم.

وما هذا إلا جهد المقل فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمنى ومن الشيطان هذا وأسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم إنه سميعٌ مجيب والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

د. عبدالله بن سليمان الغفيلي

المدينة النبوية

* أولاً: دراسة حياة المؤلف *

القسم الأول: القسم الدراسي

* أولاً: دراسة حياة المؤلف
* ثانياً: دراســـــة الكتــــاب

١- اسمه ونسبه ولقبه وكنيته:

هو الإمام العلامة مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر ابن يوسف بن أحمد الكرمي المقدسي المصري الأزهري الحنبلي.[(١)]

فالكرمي: بسكون الراء نسبة إلى قرية طور كرم[(٢)]، وقد نسب المؤلف إليها لأنها مكان ولادته ونشأته.

المقدسي: بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال والسين، نسبة إلى بيت المقدس ونسب المؤلف إليه لأن أول طلبه للعلم كان فيه، وقد تتلمذ

---

(١) انظر ترجمته في المصادر الآتية:
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لحاجي خليفة (١٩٤٨/٢) وخلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: للمحبي (٣٥٨/٤) ونفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة: للمحبي أيضا (٢٤٤/٢) والنعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل: للغزي (١٨٩) وعنوان المجد في تاريخ نجد، لابن بشر (٣١/١) وعنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد (٢٢٦) والسحب الوابلة على ضرائح الحنابلة: لابن حميد (٤٦٣-٤٦٧) وإيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون: لإسماعيل باشا (٧/١، ١٨، ٣٤، ٥٠) و(٤٠٧/٢) وهدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، له أيضاً (٤٢٦/٢) والمدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل: لابن بدران (٤٤٢) ومختصر طبقات الحنابلة: للشطي (٩٨) والأعلام: للزركلي (٢٠٣/٧) ومعجم المؤلفين: لكحالة (٢١٨/١٢) ومصطلحات الفقه الحنبلي: للثقفي (٢٢٠) ومفاتيح الفقه الحنبلي، له أيضاً (١٩٣/٢) وروض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر (٢٤٤) ومعجم المطبوعات العربية لسركيس (١٧٣٧/٢) وتاريخ آداب اللغة العربية (٢٩٣/٣) والمستدرك على معجم المؤلفين (٧٨٣).

(٢) تعرف اليوم عند أهل فلسطين بـ(طولكرم) باللام، والطور هو الجبل، وطور كرم بلدة تقع شمال غرب نابلس، وبينها وبين البحر سهول خصبة وتبعد عن القدس بحوالي ٦٩ كيلاً شمالاً. الأعلام (٢٠٣/٧) ومعجم البلدان (٤٧/٤) ومختصر طبقات الحنابلة (١٠٨) ومعجم بلدان فلسطين (٤٧٨).

على بعض علمائه.[١]

المِصْري: بكسر الميم وسكون الصاد في آخرها راء هذه النسبة إلى مصر ونسب المؤلف إليها لأنها كانت مستقره حتى الوفاة.[٢]

الأَزْهَري: بفتح الألف وسكون الزاي وفتح الهاء نسبة إلى الجامع الأزهر بمصر الذي درس وتعلم فيه المؤلف.[٣]

الحَنْبَلي: بفتح الحاء وسكون النون وفتح الباء -هذه نسبة إلى الإمام أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل- رضي الله عنه، ونسب المؤلف إليه لأنه المذهب الذى ينتسب إليه وقد أشار إلى تمسكه به بقوله:

لئن قلد الناس الأئمة إنني ... لفي مذهب الحبر ابن حنبل راغب
أقلد فتواه وأعشق قوله ... وللناس فيما يعشقون مذاهب[٤]

لقبه: زين الدين.[٥]

كنيته: لم تذكر كتب التراجم التى اطلعت عليها كنية له.

٢- ولادته:

ولد المصنف رحمه الله تعالى في بلدة طور كرم في فلسطين، ولم تشر كتب التراجم التي ترجمت له إلى تاريخ ولادته ولم تحدد عدد سني عمره عند وفاته حتى يتسنى معرفة تاريخ ولادته.

---

(١) اللباب (٣/٢٤٦) والأعلام (٧/٢٠٣) ومختصر طبقات الحنابلة (١٠٨).
(٢) اللباب (٣/٢١٩) وبقية المصادر السابقة.
(٣) المصادر السابقة.
(٤) اللباب (١/٣٩٥) والسحب الوابلة (٤٦٧) وعنوان المجد (١/٣٣).
(٥) انظر خلاصة الأثر (٤/٣٥٨).

٣- نشأته وطلبه للعلم وثقافته:

نشأ المؤلف رحمه الله تعالى في بلدته طور كرم وتعلم فيها مبادىء القراءة والكتابة وتلقى مبادىء العلوم وحفظ القرآن الكريم وساعده على ذلك حافظته الجيدة وموهبته الفذة التي جعلته يسارع إلى تحصيل العلوم بجد واجتهاد حيث رحل إلى بيت المقدس ونهل من معين العلم فيها وجالس العلماء واستفاد من العلوم التي لديهم ثم رحل بعد ذلك إلى القاهرة التي كانت مركزاً للعلم والعلماء يفد إليها طلاب العلم من كل حدب وصوب فأخذ العلم عن كثير من علمائها ومشايخها في الفقه والحديث والتفسير حتى أصبح يشار إليه بالبنان في مكانته العلمية فتصدر للتدريس والإفتاء، وقد طاب له المقام في القاهرة فآثر البقاء فيها وقد بقي يفيد ويستفيد ويستقي من علوم علمائها ويعلم الناس فيها حتى توفي رحمه الله.

قال المحبي: "دخل مصر واستوطنها وأخذ بها عن الشيخ محمد حجازي الواعظ والمحقق أحمد الغنيمي وكثير من مشايخ المصريين وأجازه شيوخه وتصدر للإقراء والتدريس بجامع الأزهر ثم تولى المشيخة بجامع السلطان حسن ثم أخذها عنه عصرِّيهُ إبراهيم الميموني(١) ووقع بينهما من المفاوضات مايقع بين الأقران، وألف كل منهما في الآخر رسائل، وكان منهمكاً على تحصيل العلوم إنهماكاً كلياً فقطع زمانه بالإفتاء والتدريس والتحقيق والتصنيف فسارت بتآليفه الركبان".(٢)

---

(١) برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عيسى المصري الميموني الشافعي، عالم في التفسير، واللغة العربية، له تصانيف كثيرة منها تهنئة أهل الإسلام لتجديد بيت الله الحرام، توفي ١٠٧٩هـ بمصر. خلاصة الأثر (٤٥/١) معجم المؤلفين (١٠٣/١).

(٢) خلاصة الأثر (٣٥٨/٤) وانظر مختصر طبقات الحنابلة (١٠٨) والسحب الوابلة (٤٦٣،٤٦٤) وبقية مصادر ترجمته التي سبقت (ص٤).

٤- أدبه وشعره:

وصف العلامة مرعي الكرمي بأنه أديب وشاعر، حيث كان له نظم وديوان شعر.

قال المحبي: "له أشعار جلا أفقها وجلى طرفها وطرقها وأطلع من تحت غصون الأقلام كالرياض ورقها".(١)

وقال ابن حميد: "وله ديوان شعر ظريف فمن شعره عفا الله عنه:

ياساحر الطرف يامن مهجتي سحرا
كم ذا تنام وكم أسهرتني سحرا
لو كنت تعلم ماألقاه منك لما
أتعبت يامنيتي قلبا إليك سرا
هذا المحب لقد شاعت صبابته
بالروح والنفس يوماً بالوصال مبشرا(٢)

وقال أيضاً:

إنما الناس بلاء ومحن
وهموم وغموم وفتن
وعناء وضناء قربهم
وهلاك ليس فيه مؤتمن
حسنوا ظاهرهم كي يخدعوا
ليس في باطنهم شيء حسن
فاحذرن عشرتهم واتركنها
واجتنبهم سيما هذا الزمن(٣)

---

(١) نفحة الريحانة (٢/٢٤٤).
(٢) السحب الوابلة (٤٦٦).
(٣) مختصر طبقات الحنابلة (١١١).

٥- **شيوخـــه:**

أخذ المؤلـف رحمـه الله تعـالى العلم عن علماء عصـره في البلاد التى رحل إليهـا وهـي فلسطين ومصـر، وقد ذكر المحبي أنه أخذ العلم عـن كثير من المشايخ المصريين.(١)

ولكن مصادر الترجمة لم تذكر إلا أربعة من مشـايخه ولعل هؤلاء هم أبرز العلمــاء الــذين أخذ عنهــم، والـذين كـان لهـم أثر كبير في التعليم والتدريس وهم:

١- الشيخ الإمام محمد بن أحمد المرداوي نزيل القاهـرة، شيخ الحنابلة في عصـره ومرجعهم، كان جبلاً مـن جبال العلم وبحراً مـن بحور الإتقان أخذ العلم عن التقي محمد الفتوحي(٢)، والشيخ عبدالله الشنشوري(٣) الفـرضى، وأخذ عنـه جمـاعة مـن العلمـاء منهـم الشيـخ مـرعي بن يوسف الحنبـــلي صاحـب الترجمـــة، والشيـــخ منصـــور البهـوتى(٤)،

---

(١) انظر خلاصة الأثر (٣٥٨/٤).

(٢) تقـي الدين أبو بكر محمد بن أحمـد بن عبدالعزيز الفتـوحي المصـري المعـروف بابن النجـار، تبحـر في علوم كثيرة حتى انتهـت إليـه الـرئاسة في المذهـب وكان زاهـــداً وورعــــاً، درس وأفتى حتى توفي سنـــــة ٩٧٢هـ. السحـب الوابلـة (٣٤٧-٣٥٠).

(٣) عبـدالله بن محمد بن عبداللـه العجمي الشنشوري، فرضـي، محدث، أصولي تولى الخطـابة بالجامع الأزهر بمصر، من مؤلفاته: "خلاصة الفكـر في شـرح المختصر في مصطلـح أهـل الأثر" توفي سنـــة ٩٩٩هـ. الأعلام (١٢٨/٤) ومعجــم المؤلفين (١٢٨/٦).

(٤) منصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن البهوتي، كان إمـاماً هماماً علامة في سائر العلوم فقيهاً متبحراً، من مؤلفاته شرح الإقناع، توفي سنة ١٠٥١هـ. معجم طبقات الحنابلة (١١٤-١١٥).

والشيخ عثمان الفتوحي[١] وغيرهم. توفي بالقاهرة سنة ١٠٢٦هـ.[٢]

٢- الشيخ الإمام محمد حجازي بن محمد بن عبدالله الواعظ الأكراوي الشافعي، ولد سنة ٩٥٧هـ ونشأ بمصر وتعلم بها وحفظ القرآن الكريم وحفظ المتون في علوم مختلفة وأخذ العلم عن عدد كبير من العلماء حتى قيل إنهم بلغوا ثلاثمائة عالم، وكانت وفاته بالقاهرة سنة ١٠٣٥هـ.[٣]

٣- الشيخ الإمام أحمد بن محمد بن علي شهاب الدين الغنيمي الأنصاري الحنفي الخزرجي، كان شافعي المذهب ولكن بعد تعلمه للمذهب الحنفي انتقل إليه وأصبح بحراً من بحور العلم وقد استفاد منه عدد من طلاب العلم، وله مصنفات منها: "إرشاد الطلاب إلى لفظ لباب الإعراب"، "ابتهاج الصدور" توفي بالقاهرة سنة ١٠٤٤هـ.[٤]

٤- الإمام الفرضي يحي بن موسى بن أحمد بن موسى بن سالم الحجاوي المقدسي الدمشقي الصالحي القاهري الحنبلي، ولد في دمشق ونشأ بها وأخذ العلم عن والده شرف الدين موسى الحجاوي، ثم رحل إلى القاهرة بعد وفاة والده وأخذ عن كبار علمائها كالتقي الفتوحي وغيره ثم درس وعلم وقد أخذ العلم عنه المصنف ومنصور البهوتي وغيرهم توفي بالقاهرة.[٥]

---

(١) عثمان بن أحمد بن محمد بن أحمد الفتوحي القاهري الحنبلي، الشهير بابن النجار، فقيهاً، تولى القضاء بالمحكمة الكبرى بمصر، من مؤلفاته "منتهى الإرادات" توفي سنة ١٠٦٤هـ. معجم المؤلفين (٢٥٠/٦).

(٢) خلاصة الأثر (٣٥٦/٣) ومختصر طبقات الحنابلة (١٠٦) والنعت الأكمل (٢١٦).

(٣) خلاصة الأثر (١٧٤/٤) والأعلام (٧٩/٦) ومعجم المؤلفين (١٧٧/٩).

(٤) خلاصة الأثر (٣١٢/١) والأعلام (٢٣٧/١) ومعجم المؤلفين (١٣٢/٢) وهدية العارفين (١٥٨/١).

(٥) خلاصة الأثر (٢٥٧/٦) ومختصر طبقات الحنابلة (١٠٥) والنعت الأكمل (١٨٣).

٦- **ثناء العلماء عليه:**

أثنى على الإمام مرعي الكرمي كل من ترجم له حيث اجتمعت فيه الصفات الحميدة والخصال الحسنة إلى جانب منزلته العلمية وسعة اطلاعه وإلمامه بشتى أنواع العلوم والفنون مما جعل له ذكراً حميداً.

قال المحبي: "أحد أكابر علماء الحنابلة بمصر، وكان محدثاً فقيهاً ذا اطلاع واسع على نقول الفقه ودقائق الحديث، ومعرفة تامة بالعلوم المتداولة".(١)

وقال الغزي: "شيخ مشايخ الإسلام، أوحد العلماء المحققين الأعلام واحد عصره وأوانه، ووحيد دهره وزمانه، صاحب التآليف العديدة، والفوائد الفريدة، والتحريرات المفيدة، خاتمة أعيان العلماء المتأخرين، من سمت بعلومه سماء المفاخر، فهو العلامة على التحقيق، والفهامة عند أهل التحقيق... إلى أن قال: وقد قلت مادحاً لهذا الهمام بشيء من النظام:

حوى السبق في كل المعارف يالـه
إمـام همـام حـاز كـل العـوارف
وقد صار ممنوحاً بكل فضيلةٍ
بظـل ظليـل بالعـوارف وارف
وحـاز بجـد واجتهـاد ومنحـة
لمـا عنـه حقـاً كـلّ كـلُّ العظـارف
سقى الله ترباً ضمّه وابل الحيا
بجنـات عـدن آمنـاً مـن مخـاوف

---

(١) خلاصة الأثر (٣٥٨/٤).

ولازال رضـــوان الإلـــه مباكـــراً
ثــــرىً ضمّه ماحـــنّ بيـــتٌ لطـــائف[١]

وقال ابن حميد: "العالم العلامة، البحر الفهامة، المدقق المحقق، المفسر المحـدث، الفقيـه، الأصولي، النحـوي، أحد أكابر علمـاء الحنـابلة بمصر".[٢]

وقال ابن بشر: "الشيخ العالم العلامة، كانت له اليـد الطولى في معرفة الفقه وغيره، صنف مصنفات عديدة في فنون العلم".[٣]

وقـال ابن بدران "العلامـة، بقيـة المجتهدين، أحد أكـابر علمـاء هذا المذهب بمصر".[٤]

وقـال المؤرخ محمـد جميـل الشطـي: "شيـخ الإسلام، أوحد العلمـــاء الأعلام فريد عصره وزمانه، ووحيد دهره وأوانه، صاحب التآليف العديدة، والتحريرات المفيدة، العلامة بالتحقيق والفهامة بالتدقيق".[٥]

وقال الزركلي: "مؤرخ أديب، من كبار الفقهاء".[٦]

وقال عمر كحالة: "محدث، فقيه، مؤرخ، أديب".[٧]

---

(١) النعت الأكمل (١٩٠).
(٢) السحب الوابلة (٤٦٣).
(٣) عنوان المجد (٣٨/١).
(٤) المدخل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل (٤٤٢).
(٥) مختصر طبقات الحنابلة (١٠٨).
(٦) الأعلام (٢٠٣/٧).
(٧) معجم المؤلفين (٢١٨/١٢).

٧- **عقيدته ومذهبه:**

١- **عقيدته**

المؤلف رحمه الله تعالى يحب السلف الصالح رحمهم الله تعالى ويعلن التزامه بمنهجهم وعقيدتهم ويحث على ذلك، ويكثر النقل من كتبهم خصوصاً شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقد استفاد منه كثيراً، خاصة فيما يتعلق بآيات الصفات وأخبارها، وقد ألف في ذلك كتابه أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات، وقال فيه: "ومن السلامة للمرء في دينه اقتضاء طريقة السلف الذين أمر أن يقتدي بهم من جاء بعدهم من الخلف، فمذهب السلف أسلم، ودع ماقيل من أن مذهب الخلف أعلم، فإنه من زخرف الأقاويل وتحسين الأباطيل، فإن أولئك قد شاهدوا الرسول ﷺ والتنزيل وهم أدرى بما نزل به الأمين جبريل، ومع ذلك فلم يكونوا يخوضون في حقيقة الذات ولا في معاني الأسماء والصفات، ويؤمنون بمتشابه القرآن وينكرون على من يبحث عن ذلك من فلانة وفلان، وإنكار الإمام مالك على من سأله عن معنى الاستواء أمر مشهور وهو في عدة من الكتب[1] منقول ومسطور".[2]

وقال في آخر الكتاب مصرحاً بأنه على مذهب السلف الصالح:

---

(١) أثر الإمام مالك أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (٣٣) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣٩٨/٣) والبيهقي في الأسماء والصفات (٥١٦) وأبو نعيم في الحلية (٤٢٥/٦) وابن قدامة المقدسي في كتاب العلو (١٧٢) والذهبي في العلو (٦٥) وقال: هذا القول محفوظ عن جماعة كربيعة الرأى ومالك الإمام وابن جعفر الترمذي.

(٢) أقاويل الثقات (٤٥-٤٦).

"وبمذهب السلف أقول وأدين الله تعالى به، وأسأله سبحانه الموت عليه مع حسن الخاتمة في خير وعافية".[١]

ومع هذا فالمؤلف عفا الله عنه قد اضطرب في هذا الباب ولم يسلم من مخالفة مذهب السلف، فهو احياناً ينقل كلام السلف ويؤيده وينصره، وأحياناً ينقل عن المتكلمين ويصفه بأنه مذهب السلف وقولهم، وهذا يحدث منه في الأمور التفصيلية، فهو مثلاً ينسب القول بالتفويض إلى السلف وأنهم فوضوا المعاني والكيفية. ويجعل القول بأن آيات الصفات وآحاديثها من المتشابهات قولاً للسلف.

يقول في كتابه أقاويل الثقات بعد أن تكلم عن المتشابه ماهو؟ ، يقول: "إذا تقرر هذا فاعلم أن من المتشابهات آيات الصفات التي التأويل فيها بعيد فلا تؤول ولا تفسر، وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى، ولا نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها".[٢]

ويقول أيضاً: "ومن المتشابه: صفة الرحمة والغضب والرضا والحياء والاستهزاء والمكر والعجب...".[٣]

وقال أيضاً: "إن هذه الأحاديث ونحوها تروى كما جاءت ويفوض معناها إلى الله أو تؤول بمايليق بجلاله سبحانه، ولاترد بمجرد العناد والمكابرة".[٤]

---

(١) أقاويل الثقات (٢٠٠).
(٢) المصدر السابق (ص٦٠).
(٣) المصدر السابق (ص٧٠).
(٤) المصدر السابق (ص١١٧،١١٨).

وهذا كله خلاف مذهب السلف لأن السلف رحمهم الله تعالى يعتبرون آيات الصفات وأحاديثها ليست من المتشابه لأن معانيها معلومة معروفة من لغة العرب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في الرد على من يقول إن آيات الصفات من المتشابه يقول: "وأما إدخال أسماء الله وصفاته أو بعض ذلك في المتشابه الذي لايعلم تأويله إلا الله. أو اعتقاد أن ذلك هو المتشابه الذي استأثر اللّه بعلم تأويله، كما يقول كل واحد من القولين طوائف من أصحابنا وغيرهم. فإنهم وإن أصابوا في كثير مما يقولونه ونجوا من بدع وقع فيها غيرهم، فالكلام على هذا من وجهين:

الأول: من قال: إن هذا من المتشابه وأنه لا يفهم معناه، فنقول أما الدليل على [بطلان] ذلك فإني ماأعلم عن أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة لا أحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية ونفى أن يعلم أحد معناه. وجعلوا أسماء اللّه وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم، ولا قالوا: إن اللّه ينزل كلاما لايفهم أحد معناه وإنما قالوا كلمات لها معان صحيحة. قالوا في أحاديث الصفات: تمر كما جاءت. ونهوا عن تأويلات الجهمية -وردوها وأبطلوها- التي مضمونها تعطيل النصوص عما دلت عليه".(١)

أما التفويض فهو قسمان: تفويض المعنى، وتفويض الكيفية، والسلف يفرقون بينهما ويفوضون الكيفية دون المعاني؛ لأنهم يؤمنون بجميع صفات الله تعالى الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/٢٩٤،٢٩٥).

من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تكييف ولا تعطيل.

والتفويض في المعاني مذهب مبتدع مخالف لما عليه السلف الصالح.

وقد أنكر الإمام أحمد رحمه الله تعالى وغيره من أئمة الإسلام على أهل التفويض وبدعوهم؛ لأن مقتضى مذهبهم أن الله سبحانه وتعالى خاطب عباده المؤمنين بما لايفهمون معناه ولايعقلون مراده منه، والله سبحانه وتعالى يتقدس عن ذلك. والواجب هو التفويض في كيفية الصفات، فكما أننا لانعلم كيفية ذاته سبحانه وتعالى كذلك صفاته لانعلم كيف هي، فنحن نؤمن بها وإن لم نعلم كيفيتها.

هذه أمثلة على اضطراب المصنف رحمه الله تعالى في هذا الباب، ولم أتتبع ذلك في جميع مصنفاته عفى الله عنه وغفر له.

٢- مذهبه:

درس المؤلف المذهب الحنبلى وتفقه فيه، ولذا فهو يعد من علماء الحنابلة الكبار، وقد قام بتدريس الفقه الحنبلي بجامع ابن طولون بالقاهرة فترة من الزمن[١]، وألف فيه الكتب والرسائل مثل كتاب «دليل الطالب» وكتاب «غاية المنتهى في جمع الاقناع والمنتهى»[٢].

وقد سبق[٣] ذكر بيتين من الشعر للمؤلف يبجل فيها الإمام أحمد رحمه الله ويذكر فيه حبه له والسير على مذهبه وتقليده له.

---

(١) السحب الوابلة (٤٦٣).

(٢) عنوان المجد (٣٢،٣١/١)، مختصر طبقات الحنابلة (١٠٩).

(٣) انظر (ص١٣).

٨- **تلاميــذه:**

بلغ المصنف رحمه الله تعالى منزلة عالية في العلم فـدرس وأفتى وبرع في شتى العلوم والفنون وألف المصنفات الكثيرة ومع ذلـك لم تذكر المصادر التي ترجمـت لـه أحداً من تلاميـذه الـذين درسوا عليـه وتلقـوا العلم عنه ولكن بعد الاستقراء والتتبع لكتب التراجم وجدت ثلاثة من تلاميذه وهم:

١- الشيخ الفقيه ابن أخيه أحمد بن يحيى بن يوسف بن أبي بكـر الحنبلي أبوالعباس المقدسي، كان أحد العباد الزاهدين والعلماء العاملين ولد في بيت المقدس سنة ١٠٠٠هـ، وتعلم بها وحفظ القرآن الكريم ثم رحل إلى القـاهرة وأخذ العلم عـن عمه المصنف مرعي الكـرمي، والعلامـة منصـور البهـوتي وغيرهـم، وكـان حسـن السيرة قليــل الكلام، توفي بالقاهرة سنة ١٠٩١هـ.(١)

٢- الشيخ الإمام محمد بن موسى بن محمد الجمازي الحسيني المالكـي نسبة إلى مذهب مالك، كان فقيها أديباً شاعراً، تولى القضـاء بمصر، وأخذ العلم عـن المصنـف وغيره مـن مشـايخ عصره، من مصنفـاته "التحفـة الوفية" و"الحجة" توفي بمصر سنة ١٠٦٥هـ.(٢)

٣- العلامة المفتي عبدالباقي بن عبدالباقي بن عبدالقادر بن إبراهيم بن عمر البعلى الحنبلي الأزهـري الـدمشقي، مفتى الحنـابلـة في دمشـق، تعلم في الأزهر وكان يعرف بـ(ابن فقيه فصه) له مصنفات منها: "رياض أهل الجنة في آثار أهل السنة"، "العين والأثر في عقائد أهل الأثر"، توفى بدمشق سنة ١٠٧١هـ.(٣)

---

(١) خلاصـة الأثر (٣٦٧/١) والنعـت الأكمـل (٢٤٩) والسحـب الـوابلة (١١٧) ومختصر طبقات الحنابلة (١٢٥).

(٢) خلاصـة الأثر (٢٣٤/٤) والأعلام (١١٩/٧) وهدية العـارفين (٢٨٦/٢) ومعجم المؤلفين (٦٣/١٢).

(٣) النعـت الأكمـل (٢٢٣) ومختصـر طبقـات الحنـابلة (١٢٠) والأعلام (٢٧٢/٣)، وهدية العارفين (٤٩٧/١).

٩- **مؤلفاته:**

ترك المؤلف رحمه الله تعالى مؤلفات كثيرة متنوعة في شتى ميادين العلوم والفنون، تدل على سعة اطلاعه وعلمه رحمه الله، وهذه قائمة بأسماء مؤلفاته، مع بيان المطبوع منها والمخطوط، وقد قسمتها إلى قسمين ورتبتها على حروف المعجم:

١- القسم الأول: المؤلفات المطبوعة:

١- إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان.

نشر دار عمار. الأردن، ١٤٠٨هـ تحقيق: مشهور حسن محمود سليمان.

٢- أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات.

مؤسسة الرسالة -الطبعة الأولى- بيروت سنة ١٤٠٦هـ تحقيق شعيب الأرناؤوط.

٣- بديع الإنشاء والصفات في المكاتبات والمراسلات، ويعرف بإنشاء مرعي.

طبع طبعات كثيرة، ومنها طبعة الشيخ عبدالرزاق بمصر سنة ١٢٩٩هـ.

٤- بهجة الناظرين وآيات المستدلين، مطبوع بالآلة الكاتبة، رسالة دكتوراه، بالجامعة الإسلامية -قسم العقيدة- تقدم به الباحث/ خليل إبراهيم أحمد.

٥- تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان.

مطبعة المدني -الطبعة الأولى- ١٤٠٩هـ.

تحقيق الدكتور سليمان الخزي.

٦- تحقيق البرهان في شأن الدخان.

نشر دار عمار -الطبعة الأولى- تحقيق مشهور حسن.

٧- تحقيق الخلاف في أصحاب الأعراف.

نشر دار الصحابة -الطبعة الأولى- تحقيق مشهور حسن.

٨- تحقيق الرجحان في صوم يوم الشك من رمضان.

طبع بتحقيق الدكتور/ عبدالكريم العمري -مطابع ابن تيمية القاهرة- الطبعة الأولى.....

٩- دليل الطالب لنيل المطالب، وهو متن لطيف في الفقه الحنبلي، اختصره من كتاب "منتهى الارادات" لتقى الدين الحنبلي وقد طبع مع تعليق الشيخ محمد بن مانع في دمشق -المكتب الإسلامي- سنة ١٩٦١هـ. وقد طبع طبعات أخرى.

١٠- الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية.

نشر مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٤هـ الطبعة الأولى.

تحقيق الدكتور/ نجم عبدالرحمن خلف.

١١- غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى -في الفقه الحنبلي ويقع في ثلاثة أجزاء.

نشر دار السلامة -دمشق- الطبعة الأولى ١٩٥٩م.

١٢- الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة.

نشر المكتب الإسلامي سنة ١٣٩٧ بيروت -الطبعة الثانية- تحقيق الدكتور/ محمد الصباغ.

١٣- قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ من القرآن.

نشر دار القرآن الكريم. الكويت -سنة ١٤٠٠هـ- الطبعة الأولى تحقيق سامي عطا حسن.

١٤- الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية.
مطبعة دار الغرب الإسلامي -بيروت ١٤٠٦هـ- الطبعة الأولى تحقيق الدكتور/ نجم عبدالرحمن خلف.
١٥- اللفظ الموطأ في بيان الصلاة الوسطى.
نشر وتوزيع دار البخاري -بريدة- المدينة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
تحقيق الدكتور/ عبدالعزيز بن مبروك الأحمدي.
١٦- مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب
نشر دار عمار -الأردن- الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
تحقيق/ علي حسن علي عبدالحميد.

٢- **القسم الثاني: مؤلفاته المخطوطة:**

١- الأيات المحكمات والمتشابهات[١]
٢- إتحاف ذوي الألباب[٢] في قوله تعالى: ﴿**يمحوا الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب**﴾.[٣]
٣- إحكام الأساس[٤] في قوله تعالى: ﴿**إن أول بيت وضع للناس**﴾.[٥]
٤- إخلاص الوداد في صدق الميعاد.[٦]

---

(١) خلاصة الأثر (٣٥٨/٤) وايضاح المكنون (٧/١) والسحب الوابلة (٤٦٤).
(٢) يوجد له نسخة خطية في مكتبة الأوقاف العامة بالموصل برقم (١٢٥/٣).
(٣) سورة الرعد: آية (٣٩).
(٤) توجد له نسخة خطية في دار الكتب المصرية (٢٧٠/٣).
(٥) سورة آل عمران: آية (٩٦).
(٦) خلاصة الأثر (٣٥٩/٤) والنعت الأكمل (١٩٢) والسحب الوابلة (٥٠/١) وهدية العارفين (٤٢٦/٢) ومختصر طبقاته الحنابلة (١٠٩).

٥- الأدلة الوفية بتصويب قول الفقهاء والصوفية.(١)

٦- إرشاد ذوي الأفهام لنزول عيسى عليه السلام، وعندي نسخة خطية منه وقد فرغت من نسخه، يسر الله إكماله وطبعه.

٧- إرشاد من كان قصده لا إله إلا اللّه.(٢)

٨- أرواح الأشباح في الكلام على الأرواح.(٣)

٩- أزهار الفلاة في آية قصر الصلاة.(٤)

١٠- الأسئلة في مسائل مشكلة.(٥)

١١- إيقاظ العارفين على حكم أوقاف السلاطين.(٦)

١٢- البرهان في تفسير القرآن، لم يتمه.(٧)

١٣- بشرى ذوي الإحسان لمن يقضي حوائج الإخوان.(٨)

١٤- بشرى من استبصر وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر.(٩)

١٥- تحسين الطرق والوجوه في قوله عليه السلام: "اطلبوا الخير عند حسان الوجوه".(١٠)

---

(١) السحب الوابلة (٤٦٥) وإيضاح المكنون (٥٢/١) ومختصر طبقات الحنابلة (١٠٩).

(٢) السحب الوابلة (٤٦٤) وإيضاح المكنون (٤٢٦/٢) ومختصر طبقات الحنابلة(١٠٩).

(٣) إيضاح المكنون (٦٤/١) والأعلام (٢٠٣/٧) وهدية العارفين (٤٢٦/٢).

(٤) خلاصة الأثر (٣٥٩/٤) وإيضاح المكنون (٦٦/١) وهدية العارفين (٤٢٦/٢).

(٥) إيضاح المكنون (١٥٩/١) وقد ذكره المؤلف في أقاويل الثقات (٧٥) بهذا الاسم.

(٦) خلاصة الأثر (٣٥٩/٤) وإيضاح المكنون (١٥٩/١) وهدية العارفين (٤٢٦/٢) وفي السحب الوابلة (٤٦٥) ومختصر طبقات الحنابلة (١٠٩) إيقاف.

(٧) خلاصة الأثر (٣٥٩/٤) والسحب الوابلة (٤٦٤) ومختصر طبقات الحنابلة (١٠٩).

(٨) النعت الأكمل (١٩٣) وإيضاح المكنون (١٨٤/١) ومختصر طبقات الحنابلة (١١٠).

(٩) مختصر طبقات الحنابلة (١١٠) وهدية العارفين (٤٢٦/٢) والسحب الوابلة (٤٦٦).

(١٠) يوجد له نسخة خطية في دار الكتب الظاهرية تحت رقم ١٩٨٥، وله صورة خطية بقسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية برقم ١٠٠٢، وفي جامعة الإمام محمد بن سعود برقم ١٦٥٠ .

١٦- تحقيق الظنون بأخبار الطاعون.[١]

١٧- تحقيق المقالة هل الأفضل في حق النبي عليه الصلاة والسلام -الولاية أو النبوة أو الرسالة.[٢]

١٨- تسكين الأشواق بأخبار العشاق.[٣]

١٩- تشويق الآنام إلى حج بيت الله الحرام.[٤]

٢٠- تلخيص أوصاف المصطفى وذكر من بعده من الخلفا.[٥]

٢١- تنبيه الماهر على غير ماهو المتبادر من الأحاديث الواردة في الصفات.[٦]

٢٢- تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين.[٧]

٢٣- تهذيب الكلام في حكم أرض مصر والشام.[٨]

٢٤- توضيح البرهان في الفرق بين الإسلام والإيمان.[٩]

---

(١) يوجد له نسخة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم (١٦٥٠).
(٢) إيضاح المكنون (٢٦٧/١) وهدية العارفين (٤٢٦/٢) ومختصر طبقات الحنابلة (١١٠)
(٣) إيضاح المكنون (٢٦٧/١) والنعت الأكمل (١٩٣).
(٤) يوجد له نسخة خطية في خدابخش (٢٩٠/١) وعنه صورة بمخطوطات الجامعة الإسلامية برقم (١٥٣٦/ف).
(٥) يوجد له نسخة في مكتبة شهيد علي باشا برقم ١٨٦١ .
(٦) هدية العارفين (٤٢٧/٢) وإيضاح المكنون (٣٢٧/١) والنعت الأكمل (١٩٢).
(٧) يوجد له نسخ في دار الكتب المصرية برقم (٢١٢٠) ودار الكتب الظاهرية برقم (٨٤٨٨) ومكتبة الخزانة الملكية الرباط (٢٣٣١) وله صورة بمخطوطات الجامعة الإسلامية برقم (١٢٥٢/ف).
(٨) إيضاح المكنون (٣٤٢/١) ومختصر طبقات الحنابلة (١١٠) والسحب الوابلة(٤٦٥).
(٩) يوجد له نسخة خطية في المكتبة التيمورية بالقاهرة برقم (٣٩٧)، ومكتبة سليم آغا -بتركيا- برقم ٦٥٧

٢٥- توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين.[١]

٢٦- جامع الدعاء وورد الأولياء ومناجاة الأصفياء.[٢]

٢٧- الحجج البينة في إبطال اليمين مع البينة.[٣]

٢٨- الحكم الملكية والكلم الأزهرية.[٤]

٢٩- دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر وهو كتابنا هذا، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى.

٣٠- دليل الحكام في الوصول إلى دار السلام.[٥]

٣١- دليل الطالبين لكلام النحويين.[٦]

٣٢- ديوان الكرمي[٧] وهو ديوان شعر للمؤلف.

٣٣- رسالة في السماع.[٨]

٣٤- رسالة فيما وقع في كلام الصوفيين من ألفاظ موهمة للتكفير.[٩]

٣٥- رفع التلبيس عمن توقف فيما كفر به إبليس.[١٠]

---

(١) يوجد له نسخة خطية في خدابخش رقم (٢٦٠٢) وعنه صورة بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية رقم (١٥٣٦/ف).

(٢) يوجد له نسخة خطية، في دار الكتب المصرية برقم(١٩٠/٦).

(٣) خلاصة الأثر (٣٥٩/٤) والنعت الأكمل (١٩٣) والسحب الوابلة (٤٦٥) ومختصر طبقات الحنابلة(١١٠) وإيضاح المكنون(٣٩٤/١) وهدية العارفين(٤٢٧/٢).

(٤) تاريخ الأدب لبروكلمان (٤٨٥/٢).

(٥) إيضاح المكنون (٤٧٨/١) والنعت الأكمل (١٩٣) ومختصر طبقات الحنابلة(١١٠).

(٦) يوجد له نسخة خطية بجامعة السليمانية بالعراق برقم (١٨٦).

(٧) إيضاح المكنون (٥٢٦/١) وهدية العارفين (٤٢٧/٢) والسحب الوابلة (٤٦٦).

(٨) يوجد له صورة بمخطوطات الجامعة الإسلامية بالمدينة ضمن مجموع تحت رقم (١٥٥١/ف).

(٩) يوجد له نسخة خطية بالقاهرة- فهرس الكتبخانة (٥٤٦/٧).

(١٠) يوجد له نسخة بدار الكتب المصرية برقم(٢١٦) مجاميع.

٣٦- روض العارفين وتسليك المريدين[١]

٣٧- الروض النضر في الكلام على الخضر.[٢]

٣٨- رياض الأزهار في حكم السماع والأوتار والغناء والأشعار.[٣]

٣٩ السراج المنير في استعمال الذهب والحرير.[٤]

٤٠- سلوان المصاب بفرقة الأحباب.[٥]

٤١- سلوك الطريقة في الجمع بين كلام أهل الشريعة والحقيقة.[٦]

٤٢- شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور.[٧]

٤٣- غذاء الأرواح في المحادثة والمزاح.[٨]

٤٤- فتح المنان بتفسير آية الامتنان.[٩]

٤٥- فرائد فوائد الفكر في الإمام المهدي المنتظر.[١٠]

٤٦- فم الوكاء في كلام السفيان من ألفاظ المهملات في التكفير.[١١]

---

(١) إيضاح المكنون (٥٨٩/١) وخلاصة الأثر (٣٥٩/٤) ومختصر طبقات الحنابلة (١١٠).

(٢) يوجد له نسخة خطية بمكتبة خدابش (٢٦٠٢) وعنه صورة خطية بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية برقم (١٥٥١/ف).

(٣) يوجد له نسخة خطية بخدابش تحت رقم (٢٦٠٢) ومنه صورة بمخطوطات الجامعة الإسلامية تحت رقم (١٥٥١/ف).

(٤) خلاصة الأثر (٣٦٠/٤) والنعت الأكمل (١٩٣) والسحب الوابلة (٤٦٥) ومختصر طبقات الحنابلة (٩٩) وهدية العارفين (٤٢٧/٢).

(٥) إيضاح المكنون (٢٥/٢) والسحب الوابلة (٤٦٦).

(٦) إيضاح المكنون (٢٥/٢) والنعت الأكمل (١٩٢).

(٧) يوجد له نسخة خطية لمركز خدمة السنة النبوية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم (٢٤٥) ويقوم الباحث/ جمال حبيب بتحقيقه لنيل درجة الماجستير في جامعة أم القرى.

(٨) تاريخ الأدب لبروكلمان (٤٨٥/٢).

(٩) إيضاح المكنون (١٧٤/١) والنعت الأكمل (١٩٢) ومختصر طبقات الحنابلة (١١٠).

(١٠) يوجد له نسخة في دار الكتب المصرية فهرس الكتبخانة (١٦١/٦).

(١١) تاريخ الأدب لبروكلمان (٤٨٤/٢).

٤٧- قرة عين الودود بمعرفة المقصور والممدود.[١]

٤٨- قلائد العقيان في فضائل آل عثمان.[٢]

٤٩- قلائد العقيان[٣] في قوله تعالى: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان**﴾.[٤]

٥٠- القول البديع في علم البديع.[٥]

٥١- القول المعروف في فضائل المعروف.[٦]

٥٢- الكلمات البينات[٧] في قوله تعالى: ﴿**وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾.[٨]

٥٣- لطائف المعارف.[٩]

٥٤- مايفعله الأطباء والداعون لدفع شر الطاعون.[١٠]

٥٥- محرك سواكن الغرام إلى حج بيت الله الحرام.[١١]

---

(١) إيضاح المكنون (٢/٢٢٥) خلاصة الأثر (٤/٣٥٨).
(٢) يوجد له نسخ خطية في دار الكتب المصرية برقم (١١٧٤) والخزانة العامة الرباط برقم (٢٣٨٠) وفي مكتبة الأوقاف بالموصل ضمن مجموع رقم (٢٢/٩).
(٣) هدية العارفين (٢/٤٢٧) وخلاصة الأثر (٤/٣٦٠) والنعت الأكمل (١٩٣) والسحب الوابلة (٤٦٥) وإيضاح المكنون (٢/٢٤٧).
(٤) سورة النحل: آية (٩٠).
(٥) خلاصة الأثر (٤/٣٦٠) والنعت الأكمل (١٩٣) والسحب الوابلة (٤٦٥) وإيضاح المكنون (٢/٢٤٧) ومختصر طبقات الحنابلة (١١٠).
(٦) يوجد له نسخة خطية في المكتبة التيمورية ضمن مجموع رقم (٢٧٢).
(٧) يوجد له صورة بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية رقم (١١٥٨/ف).
(٨) سورة البقرة: آية (٢٥).
(٩) إيضاح المكنون (٢/٤٠٥) والنعت الأكمل (١٩٣).
(١٠) إيضاح المكنون (٢/٤٢١) والسحب الوابلة (٤٦٥).
(١١) يوجد له نسخة خطية في مكتبة المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تحت رقم (٢٥٧٢).

٥٦- المختصر في علم الصرف.[١]
٥٧- مرآة الفكر في المهدي المنتظر.[٢]
٥٨- المسائل اللطيفة في فسخ الحج والعمرة الشريفة.[٣]
٥٩- المسرة والبشارة في فضل السلطنة والوزارة.[٤]
٦٠- مقدمة الخائض في علم الفرائض.[٥]
٦١- منية المحبين وبغية العاشقين.[٦]
٦٢- نزهة المتفكر.[٧]
٦٣- نزهة الناظرين في تاريخ من ولى مصر من الخلفاء والسلاطين.[٨]
٦٤- نزهة الناظرين في فضائل الغزاة والمجاهدين.[٩]
٦٥- نزهة نفوس الأخيار ومطلع مشارق الأنوار.[١٠]
٦٦- النادرة الغريبة والواقعة العجيبة.[١١]
٦٧- نصيحة.[١٢]

---

(١) يوجد له نسخة خطية في مكتبة طوب كابي سراي باستانبول برقم (١٨٠).
(٢) إيضاح المكنون (٤٦١/٢) وخلاصة الاثر (٣٥٩/٤).
(٣) خلاصة الاثر (٣٦٠/٤) والنعت الأكمل (١٩٣) وإيضاح المكنون (٤٢٧/٢).
(٤) يوجد له نسخة في مكتبة الكونجرس بواشنطن رقم (٦٥) فهرس المخطوطات العربية بالكونجرس (٤٩).
(٥) إيضاح المكنون (٥٤٣/٢) والسحب الوابلة (٤٦٤).
(٦) يوجد له نسخة في مكتبة الاسكندرية تحت رقم (٤٥٦٤).
(٧) إيضاح المكنون (٦٤١/٢) وخلاصة الأثر (٣٦٠/٤).
(٨) يوجد له نسخة خطية في دار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم (٣٨٧٢) ونسخة أخرى في دار الكتب المصرية برقم(١٢٨٣) ومكتبة الخزانة العامة بالرباط رقم (٢٣٤٧).
(٩) إيضاح المكنون(٦٤٢/٢) وهدية العارفين(٤٢٧/٢) ومختصر طبقات الحنابلة(١١٠).
(١٠) يوجد له نسخة في مكتبة الأزهر برقم (٢٤١٩).
(١١) إيضاح المكنون(٦١٤/٢) ومختصر طبقات الحنابلة (١١٠) والسحب الوابلة (٤٦٦).
(١٢) يوجد نسخة منه في برلين برقم (٥٤١٥).

١٠- وفاتـــه:

توفي الإمام العلامة بعد حياة حافلة بالعلم والتعليم والتدريس والافتاء في القـاهرة في شهر ربيع الأول سنـة ثلاث وثلاثين وألـف مـن الهجرة.[١]

وهـذا التاريخ ذكره جميـع من ترجم له إلا ابن حميـد انفـرد عنهم وحدد تاريخ وفاته بضحى يوم الأربعاء في الخامس والعشـرين من شهر ذي القعـدة سنة اثنتين وثلاثين وألـف من الهجرة حيث قـال: "رأيت في ظهـر الغـاية بخط شيـخ مشايخنا العمـدة الضـابط الشيخ محمـد بن سلـوم نقلاً أن وفـاته ضحـوة يوم الأربعـاء لخمـس بقيت من ذي القعـدة سنـة **١٠٣٢**هـ".[٢]

ولا شـك أن ما اتفق عليـه المترجمون في تاريخ وفـاته هو الصحيح.

---

(١) انظر مصادر الترجمة.

(٢) السحب الوابلة (٤٦٧).

* ثانيا: دراسة الكتاب *

١- **اسم الكتاب:**

اسم الكتاب: "دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر".

هكذا ورد اسمه في بداية النسخة الخطية، كما صرح به المؤلف في الافتتاحيـــــة.

وبهذا الاسم ذكره بعض من ترجم له، وذكر هذا الكتاب ضمن مؤلفاته.(١)

٢- **توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف:**

هذا الكتاب من مؤلفات الإمام العلامة مرعي بن يوسف الحنبلي الكرمي ونسبته إليه ثابتة لاشك فيها ومما يؤكد صحة ذلك الأمور الآتية:

١- وجود اسم المؤلف على عنوان الكتاب في الورقة الأولى من النسخة الخطية حيث كتب عليها "كتاب دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر تصنيف العبد الفقير إلى الله تعالى مرعي الحنبلى المقدسي.

٢- أن المؤلف صرح باسمه في خطبة الكتاب.

٣- أن المؤلف أحال بعض القضايا في هذا الكتاب إلى بعض مؤلفاته الأخرى التي ذكرها من ترجم له ضمن مؤلفاته، وعندالرجوع إليها. يتضح صحة هذه الإحالة:

ومن ذلك قوله: "كما اقتضت دخول الجنة بالإيمان، ودخول النار بالكفر، وحصول الولد بالوطء، والعلم بالتعلم، لكن ليس كل مايظنه

---

(١) انظر هدية العارفين (٢/٤٢٧).

الإنسـان سببـاً يكون سببـا كما قد بسطت الكلام على هـذا في كتـابي "شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور".[١]

ومنها أيضاً قوله: "قلت ومن هنا يعلم جواب ماكنت أوردته في كتابي "البرهان في تفسير القرآن".[٢]

٤- أن بعـض الذين ترجموا لـه ذكرواهذاالكتاب ضمـن مـؤلفاته وممن ذكـرذلك: ابن حميـد في السحـب الوابلة، وإسماعيـل باشـا في هدية العارفين.[٣]

٣- **وصف النسخ الخطية:**

اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على نسخة خطية محفوظة بدار الكتب الـوطنية بتونس تحت رقم(١١١٨)، ويوجد له صورة خطيـة بمكتبة مخطوطات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعةأم القـرى بمكة المكرمة -حرسهـا الله- تحت رقم (١١٢٧/١) ضمن مجموع يحتـوي على عدة رسائل.

وعدد أوراق هذه النسخة احدى وثلاثون ورقة، وعددالأسطر في كل ورقـة (٣٨سطـراً) وفي كل صفحـة (١٩سطراً) وفي كـل سطـر إحدى عشرة كلمة تقريباً.

وقـد كتبت بخط نسخ جيـد واضح وتاريخ نسخهـا آخر شهـر شعبان سنة اثنتين وثلاثين وألف من الهجرة، ولعل الناسخ هو المؤلف نفسه حيث قال في آخرها: "تم بحمد اللـه وعونه وحسن توفيقه قبيـل الظهر آخر يوم من شهر شعبان من شهور سنـة اثنتين وثلاثين وألـف مـن الهجـرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام".

---

(١) انظر رقم (١٢) من مصنفات المؤلف المخطوطة التي سبقت.

(٢) انظر رقم (٤٢) من مصنفات المؤلف المخطوطة التي سبقت.

(٣) هدية العارفين (٤٢٧/٢).

٤- أهمية الكتاب وموضوعه وسبب تأليفه:

هـذا الكتاب «دفـع الشبهـة والغرر عمـن يحتـج على فعـل المعـاصي بالقدر» من مؤلفات العلامة مرعي الكرمي التي رد فيهـا على من يحتج على فعل المعصية بقدر الله عز وجل وقد أبدع في ذلك، وتظهر أهميته من جهة أنه متفرد في هذا الباب إذ لم أطلع حسب علمي على مؤلف مستقل في مثل هذا الموضوع إلا على رسالـة لشيـخ الإسلام ابن تيميـة رحمـه اللـه تعـالى بعنوان "الاحتجاج بالقدر" ضمن مجموعة الرسائل الكبرى.(١)

أمـا موضوع الكتاب وسبب تأليفه فقد بينه المؤلـف رحمه الله تعالى في مقـدمته حيث قال: "وبعد: فقد وقعت مذاكرة في بعـض مسائل القدر في بعض المجالس، فذكر لي أن بعض دراويش متصوفة الفقراء الذين وقعوا في الإباحة والآثام وطـووا بسـاط الشـرع ورفعـوا قـواعـد الأحكـام، وسـووا بعقـولهم بين الحلال والحرام، كان لايصوم ولايصلي منهمكـاً على المحرمات كالخمور ونحوها من اللذات فاعترض عليه في ذلك، فـأجاب بما مضمونه أنه قد رفعت الأقلام وجفت الصحف وأن هذا مقدر عليّ وأنا لا أقدر على رفع ماقدره الله عليّ، واستدل أيضـاً باحتجاج آدم على مـوسى..." إلى أن قـال: "وقد أحببت أن أذكر في الجواب مايفتح به الفتاح الـوهاب" ثم بدأ رحمه اللـه بالمقـدمة وذكر فيها الشبـه التي يحتـج بها من يحتـج على فعلـه بالقـدر وحصـرها في خمسة أوجه ثم قدم بمقدمة للإجابة على هـذه الأوجه الخمسة ثم ذكر الجواب عليها بالتفصيل وجعل لكل جواب عنـواناً هكذا -الجواب الأول، ثم ذكر واحـداً تلو الآخـر حـتى وصـل إلـى الجـواب الخامـس-

(١) انظر مجموعة الرسائل الكبرى (٢/٩٧) الرسالة السادسة.

وفي كل جواب يذكر مايحتاج إلى ذكره من الآيات والأحاديث ثم يثني بذكر كلام أهل العلم وخصوصاً شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فقد أطال النقل عنه في هذا الكتاب في مواضع متعددة، وذلك لأن كلامه في هذا الموضوع هو البلسم الشافي والجواب الكافي لمن أراد الحق وبحث عن الصواب.

ثم ختم المؤلف كتابه بالتوضيح والتفسير لمعنى قوله تعالى: ﴿**ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى**﴾ وذلك لخفائه وغموضه والتباسه على كثير من الناس.

٥- **موارد المؤلف في الكتاب:**

استفاد المؤلف رحمه الله تعالى في تأليف هذا الكتاب من كتب الأمهات في السنة وقد نقل عن بعض المفسرين وعن غيرهم من العلماء فيما يتعلق بموضوع الكتاب وكان العزو إلى الكتب التي نقل منها حينا وإلى الأعلام حيناً آخر، وقد يجمع بينهما في بعض الحالات.

وقد أكثر من العزو إلى كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، ولم يكن عمل المؤلف هو مجرد النقل فقط بل أظهر شخصيته في تنظيم مواد هذا الكتاب وترتيبها ومناقشتها وترجيح الآراء وتبيين الصواب حسبما يظهر له.

ومن العلماء الذين عزا إليهم ونقل عنهم:[١]

١- الإمام عالم أهل الشام عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي المتوفى سنة ١٥٧هـ عزا إليه مرة واحدة.

---

(١) رتبوا حسب أسبقية وفياتهم.

٢- محمد بن الحسن بن زياد النقاش المتوفى سنة ٣٥١هـ عزا إليه في تفسيره مرة واحدة.

٣- الإمام علي بن محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم المتوفى ٤٥٦هـ، وقد عز إليه في كتابه « الفصل » مرة واحدة وعزا إليه أكثر من مرة مطلقاً دون إضافته إلى كتاب معين.

٤- عبدالله بن محمد بن علي الفهري المعروف بابن التلمساني المتوفى سنة ٦٤٤هـ عزا إليه مرة واحدة دون ذكر كتاب معين.

٥- الإمام يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦هـ فقد اقتبس منه وصرح باسمه دون التصريح باسم الكتاب نقل منه، وقد عز إليه مرة واحدة.

٦- شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى ٧٢٨هـ وقد اقتبس منه وعزا إليه كثيراً دون التصريح بذكر كتاب معين فيقول: قال شيخ الإسلام ابن تيمية، وأحيانا يقول: قال تقي الدين ابن تيمية، وأحيانا أخرى يقول: قال ابن تيمية.

٧- الإمام الحافظ محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ عزا إليه مرة واحدة دون التصريح باسم كتاب معين.

٨- لسان الدين محمد بن عبدالله بن سعيد السلماني وزير الأندلس المتوفى سنة ٧٧٦هـ عزا إليه مرة واحدة دون التصريح باسم الكتاب الذي نقل عنه.

٦- **عملي في تحقيق الكتاب:**

لقد اجتهدت حسب الوسع والطاقة في خدمة الكتاب وإخراجه للناس بهذه الصورة، ويتلخص عملي في تحقيق الكتاب في الأمور التالية:

١- قمت بنسخ المخطوطة مراعياً أصول الكتابة الحديثة.

٢- عزوت الآيات القرآنية الكريمة إلى مواضعها بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٣- خرّجت الأحاديث النبوية الشريفة من كتب السنة المختلفة، فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بذلك لأن العزو إليهما أو إلى أحدهما دليل على الصحة، وإن كان الحديث في غيرهما بحثت عنه في مكانه من كتب الأحاديث الأخرى كالسنن والمسانيد والمصنفات ثم نقلت كلام العلماء في الحكم عليه صحة وضعفا إن وجد ذلك.

٤- وثقت أقوال العلماء التي نقلها المؤلف رحمه الله في هذا الكتاب حسب وسعي وطاقتي، فإن صرح بالمصدر الذي أخذ منه حددت موضعه من ذلك المصدر الذي نقل منه مثل «الفصل في الملل والنحل» لابن حزم، وإن لم يصرح به أجتهد في معرفة المصدر لتحديد موضع النقل منه، وذلك مثل النقول عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره، وقد تعبت في ذلك كثيراً لأن المؤلف رحمه الله تعالى يختصر في النقل أحياناً، وأحياناً يتصرف فيها بالتقديم والتأخير والزيادة للايضاح والبيان، وهذا يجعل البحث عن النصوص المنقولة صعباً وغير واضح لتفرقها وعدم تسلسلها.

٥- خرجت الآثار الواردة في الكتاب من مظانها، وهي قليلة.

٦- ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في الكتاب من كتب التراجم المختلفة.

٧- عرفت بالفرق والطوائف والمصطلحات الواردة في الكتاب.

٨- شرحت الكلمات الغريبة التي تحتاج إلى شرح.

٩- علقت على المواضع التي تحتاج إلى تعليق أو توضيح خصوصاً في القضايا العقدية.

١٠- ختمت الكتاب بفهارس فنية مختلفة تجعل القارئ يصل إلى بغيته بيسر وسهولة.

وهذه الفهارس هي:

١- فهرس الآيات القرآنية.
٢- فهرس الأحاديث الشريفة.
٣- فهرس الآثار.
٤- فهرس الأعلام.
٥- فهرس الفرق.
٦- فهرس المصادر والمراجع.
٧- فهرس الموضوعات.

وفي الختام أحمد الله تبارك وتعالى وأشكره على مامدني به من الصحة والعافية وعلى ما منّ به عليّ من إتمام تحقيق هذا الكتاب وإخراجه. وأسأله عز وجل أن يوفقنا وجميع المسلمين إلى مايحبه ويرضاه إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نماذج من النسخة الخطية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

قال العبد الفقير الى الله تعالى مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي
الحمد لله ذي الحلم والفضل والحكم والفصل الذي خلق فسوى
والذي قدر فهدى ذي الحكم العدل ومن يؤمن بالله يهد قلبه ولا
يبيع في حبه العذل والصلاة والسلام على الصادق المصدوق
المبلغ عن الله الفرض والنفل وعلى اله واصحابه الذين تركوا الهوى وتمسكوا
بصحيح النقل ولم يتبعوا مجرد الآرا والعقل وبعد فقد وقعت
مذاكرة في بعض مسائل القدر في بعض المجالس فذكر لي ان بعض دراويش
متصوفة الفقرا الذين وقعوا في الاباحة والاثام وطووا بساط الشرع
ورفضوا قواعد الاحكام وسووا بعقولهم بين الحلال والحرام
كان لا يصوم ولا يصلي منهمكا على المحرمات كالخمور ونحوها من
اللذات فاعترض عليه في ذلك فاجاب بما مضمونه انه قد رفعت
الاقلام وجفت الصحف وان هذا مقدر علي وانا لا اقدر على دفع
ما قدره الله علي واستدل ايضا باحتجاج ادم على موسى حيث قال
لموسى اتلومني على امر قد قدره الله علي قبل ان اخلق فحج ادم موسى
فرايت في ذلك فتوى للعلامة ابي السعود المفتي صاحب التفسير
تغمده الله تعالى بالرحمة والرضوان وحفه بانواع من الروح
والريحان فاجاب رحمه الله على عادة المفتيين بالزجر والقمع
والتشديد والردع لمن يفعل مثل ذلك لكنه لم يفصح ببيان دفع

الشبهة الواقعة لمن يفعل مثل ذلك فان مثل هذا مشكل يحتاج
لجواب يدفع شبهة من قامت عنده مثل هذه الشبهة واشكالها
خمسة اوجه الاول حيث ان المقدر كاين لا محالة وانه لا يكون الا
ما قدره الله وسبق علمه به فما فائدة العمل وهل له تاثير في دفع
المقدور وما الدليل على ذلك الثاني ان ادم قد احتج على موسى
بالقدر وقال في الحديث فحج ادم موسى اي غلبه في الحجة مع ان
العلما قاطبة يقولون نومن بالقدر ولا نحتج به والا فلو ساغ
الاحتجاج بالقدر لكان لابليس ايضا يحتج به ولفرعون ايضا يحتج
به على موسى وكذلك ساير العصاة وذلك باطل وحيث كان
كذلك فكيف ادم احتج به وسلم له احتجاجه وما وجه ذلك
الثالث ما الدليل على ابطال الاحتجاج بالقدر وذمه مع ان ادم
احتج به الرابع انه حيث لا يقبل الاحتجاج بالقدر وانه
لا يكون الا ما يريده الله وقدره وسبق علمه به فيلزم ان الله تعالى
يكلف العبد ما لا يطيق ثم يحاسبه على ما لا طاقة له بفعله وهو ظلم
لان الله تعالى ايضا هو الخالق لذلك وما الحكمة في تكليف المكلفين
الخامس انه حيث ان القدر سابق وان الله هو الخالق لكل شي
وما الزم عليه الخصم الانبيا عليهم السلام وانقطاع حجتهم لان النبي اذا
قال للكافر آمن بي وصدقني يقول له قل للنبي بعثك يخلق في الايمان
والقدر تعلق به فاومن والا فكيف اومن ولا قدرة لي عليه لانه خلق

ادارة المخطوطات بالمدينة المنورة

محدثا احدثها غير الفلك كما لم تثبت القدرية لافعال الحيوان
محدثا احدثها غير الحيوان ولهذا كان الفلك عندهم حيوانا كبيرا
يتحرك للتشبه بالعلة الاولى كحركة المعشوق للعاشق فذلك
المعشوق المحبوب هو المحرك لكون المتحرك احب لا لكونه ابدع
الحركة ولا فعلها ولهذا قالوا ان الفلسفة هي التشبه بالاله
على حسب الطاقة وفي الحقيقة ليس عندهم الباري الها للعالم ولا
ربا للعالمين بل غاية ما يثبتونه ان يكون شرطا في وجود العالم وان كمال
المخلوق ان يكون متشبها به وهذا اوسع له من يقول ان الرب عين
العبد هي شر من مقالة هولا الفلاسفة وقد دخل كثير من اهل الاسلام في
طرق مبتدعة يطول ذكرها واخرجوا من التوحيد ما هو منه كتوحيد
الالهية واثبات حقايق اسما الله وصفاته ولم يعرف كثير منهم من
التوحيد الا توحيد الربوبية وهو ان الله رب كل شي وخالقه وهذا
التوحيد كان يقر به المشركون الذين قال الله عنهم ولين سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال عنهم وما يومن
اكثرهم بالله الا وهم مشركون قالت طايفة من السلف يقول
لهم من خلق السموات والارض فيقولون الله وهم مع هذا يعبدون
غيره وانما التوحيد الذي امر الله به العباد هو توحيد الالوهية
المتضمن لتوحيد الربوبية بان يعتقد اثبات الله وصفاته
ربهم ولا يشرك به شيا والعبادة تجمع غاية الحب

وغاية الذكر له سبحانه رزقنا الله تعالى ذلك وثبتنا عليه آمين

تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه قبيل ظهر

آخر يوم من شهر شعبان من شهور سنة اثنين

وثلاثين والف من الهجرة

النبوية على

صاحبها

افضل

الصلاة

والسلام

م

تصحيح [illegible] من مؤلفه [illegible]

تم تعليقه في آخر شعبان

بجامع الازهر

سنة

القسم التحقيقي

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

قال العبدُ الفقيرُ إلى الله تعالى مرعي بن يوسف الحنبليّ المقدسيّ: الحمدُ للّه ذي الحلم والفضل، والحُكْم والفَصل، -﴿الّذي خَلقَ فسوّى والّذي قدّر فهدى﴾[١]- الحَكَم العدْل، -﴿ومَن يؤمن باللّهِ يهدِ قلبه﴾[٢]- ولا يُسمع في حُبّه العذل. والصلاة والسلام على الصادقِ المصدوق المبلّغ عن الله الفرض والنّفل، وعلى آله وأصحابه الذين تركوا الهوى وتمسّكوا بصحيح النّقل. ولم يتّبعوا مجرد الآراء والعقل.

وبعد: فقد وقعت مذاكرةٌ في بعض مسائل القدر في بعض المجالس، فذُكر لي أن بعض دراويش[٣] متصّوفة الفقراء الذين وقعوا في الإباحةِ والآثام، وطووا بساط الشرع ورفعوا قواعدَ الأحكام، وسوّوا بعقولهم بين الحلال والحرام، كان لايصوم ولا يُصلي منهمكاً على المحرّمات كالخمور ونحوها من اللذات، فاعترِض عليه في ذلك، فأجاب بما مضمونهُ أنه قد رُفعت الأقلام وجفّت الصحف وأنّ هذا مُقدّر عليّ وأنا لا أقدر على دفع ماقدّره الله عليّ، واستدل أيضاً باحتجاج آدم على موسى حيث قال لموسى: "أفتلومُنيً على أمرٍ قد قدّرهُ الله عليّ قبل أن أُخلق؟

---

(١) سورة الأعلى: من الآية (٣).

(٢) سورة التغابن: من الآية (١١).

(٣) الدراويش: جمع درويش، قال الزبيدي: الدُرشة بالضم اللجاجة نقله الصاغاني، ومنه اشتقاق الدرويش فعليل، منه إن كان عربياً بمعنى الفقير الشحاذ السائل، وقد تلاعبت باستعماله العرب أخيراً، وغالب ظنى أنها فارسية. تاج العروس (١٧/٢٠٢).

فحجّ آدم موسى"[١] فرفع في ذلك فتوى للعلامة أبي السعود[٢] المفتي صاحب التفسير تغمده الله تعالى بالرحمة والرضوان، وحفّ بأرجاء قبره الروح والريحان، فأجاب رحمه الله على عادة المفتين بالزجر والقمع والتشّديد والردع لمن يفعل مثل ذلك، لكنه لم يفصح ببيان دفع الشبهة الواقعة لمن يفعل مثل ذلك، فإن مثل هذا مشكل يحتاج لجواب يدفع شبهة من قامت عنده مثل هذه الشبهة، وإشكاله من خمسة أوجه:

الأول:حيث إن المُقَدّر كائنٌ لامحالة وأنه لايكون إلاّماقدّره اللّه وسبق علمه به، فمافائدةالعمل؟ وهل له تأثيرفي دفع المقدور؟ ومالدليل علىذلك؟

الثاني:أن آدم قد احتجّ على موسى بالقدر وقال في الحديث ﴿**فحج آدم موسى**﴾أي غلبه في الحجّة مع أن العلماء قاطبة يقولون نؤمن بالقدر ولا نحتج به،[٣]، وإلاّ فلو ساغ الاحتجاج بالقدر لكان إبليس أيضاً يحتجّ به

---

(١) أخرجه البخاري: -كتاب القدر- باب تحاج آدم وموسى (٢١٤/٧) ومسلم: -كتاب القدر- باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٢٠٤٢/٤) ومن ألفاظه عند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "احتج آدم وموسى، فقال له موسى: ياآدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال له آدم: أنت موسى. اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده، أتلومني على أمر قد قدره الله على قبل أن يخلقني بأربعين سنة" فقال النبي ﷺ: "فحج آدم موسى".

(٢) أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، قال ابن العماد: الإمام العلامة، ولدسنة ٨٩٨هـ بقرية قريبة من القسطنطينية، من مؤلفاته تفسيره المشهور واسمه "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" ومنها "تحفة الطلاب" توفي سنة ٩٨٢هـ. شذرات الذهب (٣٩٨/٨-٤٠٠) والبدر الطالع (٢٦١/١).

(٣) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ولو كان القدر حجة لأحد لم يعذب الله المكذبين للرسل كقوم نوح وعاد وثمود والمؤتفكات، وقوم فرعون، ولم يأمر باقامة الحدود على المعتدين، ولايحتج أحد بالقدر إلا إذا كان متبعاً لهواه بغير هدى من الله، ومن رأى القدر حجة لأهل الذنوب يرفع عنهم ==

وفرعون أيضاً يحتج به على موسى وكذلك سائر العصاة وذلك باطل، وحيث كان كذلك فكيف آدم احتجّ به وسُلّم لهُ احتجاجه؟ وماوجه ذلك؟.

الثالث: ماالدليل على إبطال الاحتجاج بالقدر وذمّه مع أن آدم احتجّ بـــه؟.

الرابع: أنه حيث لايُقبل الاحتجاج بالقدر وأنه لايكون إلاّ مايريده اللّه وقدره وسبق علمه به فيلزم أن اللّه تعالى يكلّف العبد مالا يُطيق ثم يعاقبه على مالاطاقة له بفعله، وهو ظلم(١)، مع أن اللّه تعالى أيضاً هو الخالق لذلك، وما الحكمة في تكليف المكلفين وعقاب العاصين؟

الخامس: حيث إن القدر سابق وإن اللّه هو الخالق لكل شيء ربما لزم عليه إفحام الأنبياء عليهم السلام وانقطاع حجّتهم لأن النبي إذا قال للكافر آمن بي وصدّقني يقول له قل للذي بعثك يخلق فيّ الإيمان والقدرة عليه فأؤمن، وإلاّ فكيف أؤمن ولا قدرة لي عليه لأنه خلق فيّ الكفر وأنا لا أقدر على دفع ما خلقه فيّ، هذا وفي الحقيقة أن مثل هذا بحسب الظاهر مشكل يحتاج لأجوبة قاطعة تدفع شبهات من قامت عنده، وإلاّ فأي غرض في الرمي إلى غير غرض، وهل المراد في مقام النزاع والاستدلال إلاّ إيراد مايقطع النزاع والجدال من الآيات البينات والدلائل الواضحات فإنها إذا

(=) الذم والعقاب فعليه أن لايذم أحداً ولا يعاقبه إذا اعتدى عليه، بل يستوى عنده مايوجب اللذة ومايوجب الألم، فلا يفرق بين من يفعل معه خيراً وبين من يفعل معه شراً، وهذا ممتنع طبعاً وعقلاً وشرعاً.
مجموع الفتاوى (٢٥٧/١١).

(١) والله سبحانه وتعالى منزه عن الظلم ﴿**وما ربك بظلام للعبيد**﴾ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا.

أقيمت انقطع وقريء ﴿الآن **حَصحَص الحقُّ**﴾[١] ولا دفاع، وإلا فللخصم أن يقـول هذه دعوى مجرّدة عن الـدليل فلا أرجع إليها ولا أعتمـد عليها لأن هذه أمور اعتقادية فلا أرجع فيهـا إلاّ للأدلـة اليقينّيـة مـن النقلية والعقلية وإلاّ فهـي دعوى مجردة مقابلـة بالمنع والرد وعدم القبـول. وقد أحببت أن أذكـر في الجواب مايفتـح به الفتاح الـوهّاب وسمّيته: «دفع الشبهة والغـرر عمّن يحتج على فعل المعاصي بالقدر».

---

(١) سورة يوسف: آية (٥١).

[مقدمــــة]

اعلم -أيدك اللّـه تعالى- أن كثيراً ممـن ينتسـب إلى التصـوف[١] قد صدرت منهم مقالات شنيعة، واعتقـادات فظيعة، في هـذا الـزمان وقبل هذا الزمان، فمنهم من يقول: إن الله تعالى يحل في قلب العـارف ويتكلم بلسانه كمـا يتكلم الجنيّ على لسان المصروع، ومنهم من يقول هـذا السرّ الذي باح به الحلاج[٢] وغيره، وهـذا عندهم مـن الأسرار التي يكتمهـا العارفون ولا

---

(١) أول مـاعرف التصوف في الإسلام في نهـاية القرن الثاني الهجـري حينمـا انشغل النـاس بالـدنيا واقبلوا عليهـا جنـح جماعة من العباد إلى الـزهادة واختفـوا عن النـاس وانقطعـوا للعبادة، وسمـوا بالصـوفية أو المتصوفـة وذلـك نسبة إلى لبس الصـوف، وأول مـن لقب بالصوفي أبو هـاشم الكوفي المتــوفى سنـة (١٥٠هـ)، ثم تطـور الأمر إلى أن أصبح المذهـب الصوفي مذهباً قائماً لـه تلاميذ ومدارس وطرق وهـو خليط من البوذية والنصـرانية والصابئة وغيرها، وقـد أدعـى أصحاب هذا المذهـب أحوالاً وأموراً بعيدة عن دين الله عز وجل، وهـم يقسمون الدين إلى قسمين: ظاهر وباطن، ويسمون أنفسهم أهل الله، وأهل الباطن، وأهل الحقائق، ويسمـون غيرهم أهل الظاهر، وأهل الرسوم، ومازال الشيطـان وجنوده ببعضهم حتى قـالوا بسقـوط التكليف والتسـوية بين الطاعات والمعـاصي والإيمان والكفـر بدعـوى شهود الربوبية والقول بالحلول ووحدة الوجود ولهـم كما قال المؤلف مقالات شنيعة واعتقادات فظيعة.
والخلاصـة ان المذهب الصوفي مـذهـب دخيل بعيد عن دين اللـه عـز وجل، ولا حق إلا مـاجاء في كتـاب الله عز وجل وسنـة رسـوله ﷺ، وسار عليه السلـف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. انظر مجموع فتـاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦٠٦/١١) ومابعدها، تلبيـس ابليس لابن الجوزى (١٦١) ومابعدها، التصوف المنشأ والمصادر لاحسان إلهي ظهير، رحم الله الجميع.

(٢) الحسين بن منصـور الحلاج يكنى أبا مغيث وقيل أبا عبداللـه، الفارسي البيضاوي الصـوفي، نشأ بواسط وقيل بتستر وقدم بغداد فخالط الصـوفية وصحب مشيختهم ويقول ابن النديم نقلاً عن ابن أبي الطاهر: "كان جاهلاً مقداماً متدهوراً جسوراً على السلاطين مرتكباً العظائم، يروم إقلاب الدول، ويدعـى عند أصحابه ==

يوحون بها إلاّ لخواصّهم، ومنهم من يقول إنّ الحلاج إنما قتل لأنه باح بالسّر، وينشد:

من باح بالسّر كان القتل سميته   بين الرجال ولا يؤخذ له ثأر

ومنهم من يجعل القبور الجميلة مظاهر الجمال الإلهيّ، ومنهم من يقول بحلوله تعالى في الصّور الجميلة ويقول إنه يشاهد في الأمرد معبوده أو صفات معبوده أو مظاهر جماله، ومنهم من يسجد للأمرد.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية:[١] "ثم من هؤلاء من يقول

(=) الإلهية ويقول بالحلول، ويظهر مذاهب الشيعة للملوك، ومذاهب الصوفية للعامة، وفي تضاعيف ذلك يرى أن الإلهية قد حلت فيه وأنه هو هو تعالى الله جل وتقدس عما يقول هؤلاء علواً كبيراً.
قال الذهبي: "وتبرأ منه سائر الصوفية والمشايخ والعلماء لما سترى من سوء سيرته ومروقه، ومنهم من نسبه إلى الحلول، ومنهم من نسبه إلى الزندقة، وإلى الشعبذة والزوكرة، وقد تستر به طائفة من ذوي الضلال والانحلال، وانتحلوه وروجوا به على الجهال".
له مصنفات عديدة كلها ضلال ومنها "كتاب هو هو" و "كتاب نور النور" قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "من اعتقد مايعتقده الحلاج من المقالات التي قتل الحلاج عليها فهو كافر مرتد باتفاق المسلمين"، هلك مصلوباً سنة ٣٠٩هـ.
الفهرست لابن النديم (٢٤١-٢٤٢) وتاريخ بغداد (١١٢/٨) ومجموع الفتاوى (٤٨٠/٢) وسير اعلام النبلاء (٣١٣/١٤).

(١) هو الإمام الفقيه المجتهد البارع شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحراني الدمشقي، محدث، مفسر، أصولي، زاهد، علم الاعلام وشهرته تغني عن الاطناب في ذكره، كان من بحور العلم ومن الأذكياء المعدودين، له مصنفات كثيرة في جميع العلوم والفنون ومنها: الفتاوى، درء تعارض العقل والنقل، منهاج السنة وغيرها، امتحن وأوذي مرات وحبس بقلعة مصر، وبقلعة دمشق، وبها توفي سنة ٧٢٨هـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة.
الذيل على طبقات الحنابلة (٣٨٧/٢) وتذكرة الحفاظ (١٤٩٦/٤) وشذرات الذهب (٨٠/٦).

بالحلول[١] والاتحاد العام[٢] لكنه يتعبد بمظاهر الجمال لما في ذلـك من اللّذة له فيتخذ إلهُ هواه".[٣]

---

(١) أهـل الحلول هم الحلولية الذين يعتقـدون أن الله تعالى بذاته حل في مخلـوقاته كمـا يحل الماء في الإناء وأنه تعـالى بذاته في كـل مكان تعـالى اللـه عما يقولون علـواً كبيراً، وأول من أظهر ذلك في الإسلام الروافض، فـإنهم ادعوا الحلول في حق أئمتهم. والقول بالحلول هي عقيدة غلاةالصوفية والفلاسفـة كابن عربى وابن سبعين والحلاج وغيرهـم. والحلـول نوعـان: حلـول مقيـد في بعـض الاشخـاص، وحلـول في كل شيء، ومنه قـول الجهمية الذين يقولون إن ذات اللـه في كـل مكـــان.

اعتقـادات فـرق المسلمين والمشـركين (٧٣) ومجموع فتاوى ابن تيميـة (٥٩/١٠) والفرق بين الفرق للبغدادي (٢٥٤) والملل والنحل للشهرستاني (٥٦/٢).

(٢) الاتحاد العـام: الاتحاد هـو القـول بأن الله تعالى متحد في مخلـوقاته وهـو نوعان: اتحاد خاص مثـل قـول طائفة مـن النصارى ومن تبعهم مـن الـرافضة والصوفية الغلاة أن اللاهوت والناسوت اتحدا واختلطا كاختلاط اللبن بالماء.

واتحاد عـام: وهو قول الملاحدة الذين يزعمون أن اللـه تعالى هو عين الوجود. قـال شيـخ الإسلام ابن تيميـة رحمـه اللـه تعـالى: "وهـؤلاء أكفـر مـن اليهـود والنصارى من وجهين:

مـن جهـة أن أولئك قالوا إن الـرب يتحد بعبده الذى قـربه واصطفـاه بعد أن يكـونا متحـدين، وهؤلاء يقولـون مازال الرب هو العبـد وغيره مـن المخلوقات ليس هو غيره.

والثـاني: مـن جهة أن أولئك خصـوا ذلك بمن عظموه كالمسيـح، وهـؤلاء جعلوا ذلـك سارياً في الكلاب والخنازير والقـذر والأوساخ، وإذا كـان الله تعالى قال: ﴿**لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم**﴾ [سورة المائدة: آية ٧٢]. فكيـف بمن قـال إن الله هو "الكفـار والمنـافقون والصبيـان والمجـانين والانجاس والانتان وكل شيء..." تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا.

مجمـوع الرسائل والمسائل (٢٥/٤)، وانظر مجموع الفتـاوى (٩٨/٢) ومابعدها، ومعارج القبول للحكمى (٣٣٩/١)، والتحفة المهدية شرح التـدمرية لابن مهدى (٢٣٨-٢٤٠)، والموسوعة العربية الميسرة (٤٥).

(٣) منهـاج السنـة النبـوية في نقـض كلام الشيعـة والقـدرية لابن تيميـة (٦٢٣/٢).

قال:[١] "وهذا موجود في كثير من المنتسبين إلى الفقه والتصوف، ومنهم من يقول إنه يرى الله مطلقاً ولايعين الصورة الجميلة بل يقولون إنهم يرونه في صور مختلفة، وكثير من جهّال أهل الحال يقولون إنهم يرون الله عياناً في الدنيا وإنهم عُرج بهم إلى السماء ونحوذلك من المقالات الشنيعة، وأهل السنة متفقون[٢] على أن الله تعالى لايراه أحد بعينه في الدنيا لانبيّ ولاغير نبيّ، ولم يتنازع الناس في ذلك إلا في نبيّنا خاصة".[٣]

وأما القول بإباحة وحِلّ المحرمات فهذا واقع من كثير منهم، بل ومن غيرهم، وهذا في الأصل إنما هو قول أئمة الباطنية[٤] القرامطة[٥] وكثير

---

(١) القائل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن المؤمنين يرون الله بأبصارهم في الأخرة وأجمعوا على أنهم لا يرونه في الدنيا بأبصارهم، ولم يتنازعوا إلا في النبي ﷺ. مجموع فتاوى ابن تيمية (٥١٢/٦) وانظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥١٢/٣) ومابعدها.

(٣) منهاج السنةالنبوية في نقض كلام الشيعةالقدرية لابن تيمية(٦٢٣/٢،٦٢٥،٦٣٦).

(٤) الباطنية سموا بذلك لأنهم يقولون إن للنصوص ظاهراً وباطنا ولكل تنزيل تأويلا ولهم ألقاب كثيرة منها القرامطة والخرمية والإسماعلية والمزوكية والنصيرية، وهم يعتقدون أن الإله لايوصف بوجود ولاعدم ولا هو معلوم ولامجهول ويقولون إنه لابد في كل عصر من إمام معصوم قائم بالحق يرجع إليه في تأويل الظواهر واتفقوا على إنكار القيامة وهم ينكرون ذلك إذا نسب إليهم. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٧٦) والفرق بين الفرق (٢٨١) والرد على الرافضة للمقدسي (١٤١).

(٥) القرامطة: هم طائفة من الباطنية أتباع حمدان القرمطي رجل من أهل الكوفة دعا الناس إلى المذهب الباطني فضل بسببه خلق كثير، وكان أول ظهورهم عام ٢٨١هـ في خلافة المعتضد ولهم أعمال شنيعة مخزية وأعظمها ماوقع منهم سنة ٣١٧هـ حيث هاجموا الحجاج وقتلوا المسلمين في الحرم واستباحوا دماءهم وأموالهم وقلعوا باب الكعبة والحجر الاسود حتى اعيد سنة ٣٣٩هـ على يد أبي إسحاق إبراهيم بن محمد المزكى رحمه الله. مقالات الإسلامين (١٠٠/١) واعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٧٩) والبداية والنهاية (٢٥٠/١١) وسير أعلام النبلاء (١٦٣/١٦).

من الفلاسفة[١] الذين يُضرب بهم المثل فيقال "فلان يستحل دمي كاستحلال الفلاسفة محظورات الشرائع"، ثم تبعهم في ذلك من ينتسب للتصوف من متصوفة الملاحدة).[٢]

قال الإمام ابن النقاش[٣] في تفسيره: وأنقص المراتب عند هؤلاء مرتبة أهل الشريعة وهم الفقهاء الواقفون مع الحلال والحرام، وأعلى منهم مرتبة المتكلم على طريقة الجهمية[٤]

---

(١) الفلاسفة: جمع فيلسوف وهي تتكون من مقطعين هما فيلو. وسوفيا ومعنى فيلو: في اليونانية محب، وسوفيا: الحكمة، فالفيلسوف هو محب الحكمة، وقد ابتليت الأمة الإسلامية بمن يسمون أنفسهم فلاسفة المسلمين وهم في الحقيقة طائفة خرجوا عن الحق واستبدلوا الوحي بالعقل فضلوا وأضلوا.
ومذهبهم: أن العالم قديم وعلته مؤثرة بالإيجاب، وليست فاعلة بالاختيار، وأكثرهم ينكرون علم اللّه تعالى، وينكرون حشر الأجساد ومن أشهرهم أرسطاليس. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص١٤٥،١٤٦) والفصل في الملل والنحل (٩٤/١) والملل والنحل للشهرستاني (١٥٥/٢) والمعجم الفلسفي (ص١٣٨،١٣٩،١٤٠)، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للنشار (٤٩/١).

(٢) انظر منهاج السنة النبوية (٦٢٤/٢).

(٣) أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون الموصلي ثم البغدادي المقريء المفسر أحد الاعلام، قال الذهبي: وهو مع علمه وجلالته ليس بثقة، وخيار من أثنى عليه أبو عمرو الداني فقبله وزكاه، وهو مصنف كتاب "شفاء الصدور" في التفسير وقد أتى فيه بالعجائب والموضوعات، توفي سنة ٣٥١هـ. تاريخ بغداد (٢٠١/٢) ومعرفة القراء الكبار للذهبي (٢٩٤/١) وطبقات الشافعية (١٤٥/٣) وشذرات الذهب (١٠٨/٣).

(٤) هي إحدى الفرق المنحرفة عن المنهج القويم، نسبة إلى الجهم بن صفوان الذي قال: بالاجبار والاضطرار إلى الأعمال، وأنكر الاستطاعات كلها، وزعم أن الإيمان هو المعرفة باللّه تعالى فقط، وأن الكفر هو الجهل به، وزعم أيضاً أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان ونفى أسماء الله تعالى -وصفاته.
الملل والنحل (٧٦/١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازى (ص٦٨) والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص٣٤) والفرق بين الفرق للبغدادي (ص٢١١).

والمعتزلة[1] ثم مرتبة الفيلسوف ثم مرتبة المحقق، والمحقق في عرفهم هو القائل بوحدة الوجود[2]، ويُسمّون العقل العلم ويُسمّون النفس الفلكية اللوح، ويدّعون أن ذلك هو اللوح المحفوظ في كلام الله ورسوله، ولهذا يدّعي أحدهم أنه مطّلع على اللوح المحفوظ".

قال ابن تيمية: "وقد يقولون الوجود واحد ثم يجعلون المردان مظاهر الجمال فيجعلون هذا الشرك الأعظم طريقاً إلى الوصول إلى إستحلال الفواحش بل إلى كل محرّم، كما قيل لبعض مشايخهم: إذا كان قولكم بأن الوجود واحد هو الحق فما الفرق بين الأجنبية وبين أمي وأختي وبنتي حتى يكون هذا حلال وهذا حرام؟ فقال: الجميع عندنا سواء،

---

(١) هي إحدى الفرق المنحرفة عن الطريق المستقيم مؤسسها واصل بن عطاء وعمرو ابن عبيد، سموا معتزلة لاعتزالهم مجلس الحسن البصرى، وقيل لاعتزالهم منهج أهل السنة والجماعة، وقيل غير ذلك، من عقائدهم إثبات الأسماء وإنكار جميع الصفات، ومنها أن صاحب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين في الدنيا، وفي الآخرة خالد مخلد في النار. الفرق بين الفرق للبغدادى (ص١١٤) والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص٤٩).

(٢) وحدة الوجود: أهل وحدة الوجود هم الذين يقولون إن الوجود كله هو الإله المعبود فليس هناك إلا شيء واحد فلا خالق ولا مخلوق، فالوجود عندهم واحد، الخالق هو المخلوق، والمخلوق هو الخالق، والعابد هو المعبود، والمعبود هو العابد، فما في ذوات الوجود كله إلا الله سبحانه تجلى بصورها وأسمائها، وماثم إلا أسماؤه وصفاته، وهو مذهب الزنادقة والملحدين من الصوفية وغيرهم كابن عربى وابن الفارض وابن سبعين وغيرهم.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد أن قرر مذهبهم: "فهذا كله كفر باطناً وظاهرا بإجماع كل مسلم، ومن شك في كفر هؤلاء بعد معرفة قولهم ومعرفة دين الإسلام فهو كافر، كمن يشك في كفر اليهود والنصارى والمشركين. مجموع الفتاوى (٣٦٨/٢)، وانظر مدارج السالكين (٦٠/١) ومابعدها، وعقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين للبليهى (٤٨٧/٢-٤٩٦).

ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا حرام فقلنا حرام عليكم".(١)

قال: ولهذا تجد الواحد من هؤلاء ينكر على من يُنكر المنكر ويقول: هذا مقدّر عليكم، ويقول بعض مشايخهم: أنا كافر بربّ يُعصى، ويقول لو قتلتُ سبعين نبّياً ماكنت مخطئاً، ويقول شاعرهم:

أصبحت منفعلاً لما تختاره مني ففعلي كلّه طاعات(٢)

ومنهم من يقول: "إن العبد إذا بلغ غاية المحبّة، وصفا قلبه، واختار الإيمان على الكفر، سقط عنه الأمر والنّهي"، ومنهم من يقول: "إنه تسقط عنه العبادات الظاهرة وتكون عبادته التكفّر"، وكل هؤلاء بمعزل عن الإسلام، وهم كما قيل:

وما انتسبوا إلى الإسلام إلاّ لصون دمائهم أن لا تسالا
فيأتون المعاصي في نشاطٍ ويأتون الصّلاة وهم كُسالى

قال ابن تيمية: "ومنهم طائفة ظنت أن كل ماخلق الله فقد أحبه، وهؤلاء قد يخرجون إلى مذاهب الإباحة أيضا فيقولون إنه تعالى يحب الكفر والفسوق والعصيان ويرضى ذلك وأن العارف إذا شهد هذا الحكم لم يستقبح سيئةً لشهوده القيومية العامة وخلق الرب لكل شيء".(٣)

ويقول شاعرهم:

ما الأمر إلا نسق واحد مافيه من حمدٍ ولا ذم

قال: وهذا غلط عظيم، فإن الكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة صريح

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢/٣٦٥).
(٢) منهاج السنة النبوية (٣/٢٥).
(٣) المصدر السابق (٣/١٦٧).

بأن الله يحب أنبياءه وأولياءه ومأأمر به ولايحب الشياطين والكافرين ولامانهى عنه.[١]

قال: "ومن المدعين للمعرفة والحقيقة والفناء الذين يطلبون أن لايكون لهم مراد مع الحق بل يريدون مايريد الحق، ومنهم من يقول إن الكمال أن تفنى عن إرادتك وتبقى مع إرادة ربك، وليست الطاعات عندهم سبباً للثواب ولا المعاصي سبباً للعقاب، والعارف عندهم من يكون مشاهداً سبق الحق بحكمه وعلمه أي يشهد إنه علم ماسيكون وحكم به أي أراده وقضاه وكتبه، وكثيراً من أهل هذا المذهب يتركون الأسباب الدنيوية ويجعلون وجود السبب كعدمه، وقد قال الإمام أحمد في قوم لايعملون بالتكسب ويقولون نحن متوكلون: (هؤلاء مبتدعة).[٢]

ومنهم قوم زنادقة[٣] يتركون الأسباب الأخروية ويقولون "إن سبق العلم والحكم أننا سعداء فنحن سعداء وإن سبق أننا أشقياء فنحن أشقياء فلا فائدة في العمل، فيتركون العمل بناء على هذا الأصل الفاسد".[٤]

إذا تقرر هذا فالجواب عن الأول وهو أنه حيث المقدر كائن لا محاله فما فائدة العمل؟ وهل له تأثير في رفع المقدور إلى آخره.

---

(١) منهاج السنة النبوية (١٦٨/٣).

(٢) أخرجه الخلال في كتاب الحث على التجارة والصناعة (٢٩)، وابن الإمام أحمد صالح في مسائله (٩/٢).

(٣) الزنادقة جمع زنديق، والزنديق هو الذى لايؤمن بوحدانية الله ولا باليوم الآخر ويقول بدوام بقاء الدهر.
كما يطلق على كل من يستهتر بالدين ويستهزىء به، وهذه الكلمة تطلق على أتباع ديصان ثم ماني ثم مزدك وحاصل مقالتهم أن النور والظلمة إلهان قديمان، النور إله الخير، والظلمة إله الشر، وأنه يجب السعي في تخليص النور من الظلمة. لسان العرب (١٤٧/١٠)، وفتح الباري (٢٧٠/١٢،٢٧١).

(٤) منهاج السنة النبوية (٦٢٣/٢).

«الجواب الأول»

فنقول: لاريب أن المقادير سابقة، وقد جرى القلم بما هو كائن إلى الأبد، قال الإمام النووي[١] في شرح مسلم: (إن الله تعالى قدر مقادير الخلق ومايكون من الأشياء قبل أن يكون في الأزل وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ماقدرها).[٢]

وقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية: "إن علم الله تعالى السابق محيط بالأشياء على ماهي عليه ولا محو فيه ولا تغيير ولا زيادة ولا نقص فإنه سبحانه يعلم ماكان ومايكون ومالا يكون لو كان كيف يكون، وأما ماجرى به القلم في اللوح المحفوظ فهل يكون فيه محو وإثبات؟ على قولين للعلماء.[٣]

قال:[٤] وأما الصحف التي بيد الملائكة فيحصل فيها المحو والإثبات.[٥] انتهى

---

(١) أبو زكريا يحي بن شرف بن مرعي الحزامي النووى الشافعي الإمام الحافظ، صاحب التصانيف النافعة في الفقه والحديث وغيرها ومنها "شرح صحيح مسلم" و"المجموع" توفي سنة ٦٧٦هـ. طبقات الشافعية (١٦٥/٥) والبداية والنهاية (٢٧٨/١٣).

(٢) انظر شرح مسلم للنووي (١٥٤/١).

(٣) انظر مجموع الفتاوى (٤٩١/١٤،٤٩٢) مع تصرف وتقديم وتأخير من المؤلف.

(٤) القائل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى (٤٩٢/١٤) وانظر مجموع الفتاوى (٣٨١/٢٤).

(٥) مجموع الفتاوى (٤٩٢/١٤) وانظر أيضا (٣٨١/٢٤).

وقد بسطت الكلام على هذا في كتابي «إتحاف ذوى الألباب»(١) في قوله تعالى: ﴿**يمحوا الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب**﴾.(٢)

وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن تخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء".(٣)

وفي حديث الإمام أحمد(٤) والترمذي(٥) "قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة".

وحديث أحمد(٦) ومسلم(٧) عن ابن عمر "كل شيء بقدر حتى العجز والكيس".(٨)

وفي القرآن العزيز ﴿**ماأصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها**﴾(٩) وفيه أيضاً ﴿**قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا**﴾(١٠)،

---

(١) انظر رقم (٢) من مصنفات المؤلف المخطوطة التي سبقت.
(٢) سورة الرعد: آية (٣٩).
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٢٠٤٤/٤).
(٤) مسند الإمام أحمد (١٦٩/٢).
(٥) سنن الترمذي:كتاب القدر(٤٥٨/٤)وقال الترمذي:هذاحديث حسن صحيح غريب.
(٦) مسند الإمام أحمد (١١٠/٢).
(٧) صحيح مسلم: كتاب القدر، باب كل شيء بقدر عن طاووس رحمه الله تعالى أنه قال: أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون كل شيء بقدر قال سمعت عبدالله بن عمر يقول قال رسول الله ﷺ: "كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز".
(٨) الكيس: ضد العجز وهو النشاط والحذق بالأمور ومعناه أن العاجز قد قدر عجزه والكيس قد قدر كيسه. شرح مسلم للنووي (٢٠٥/١٦).
(٩) سورة الحديد: آية (٢٢).
(١٠) سورة التوبة: آية (٥١).

والآيات والأحاديث في مثل هذا كثيرة، والمقصود هنا أن من شهد هذا المشهد فشهوده حق لكن وراء هذا المشهد مشهد آخر وهو أن يشهد المقادير مقدرة بأسبابها لأنه يشهدها مجردة عن الأسباب، فإنه إن شهد ذلك كان شهوده ناقصاً أعمى، وينشأ له الغلط من أن الأعمال لاتنفع، وأن الأسباب لاتفيد، وهو قول مبني على أصل فاسد، ولا ريب أن هذا الأصل الفاسد الذي وقع فيه بعض المتصوفة ومن التحق بهم هو مخالف للكتاب والسنة وأئمة الدين ومخالف صريح المعقول ومخالف للحس والمشاهدة، فإن الله تعالى أجرى عادته الإلهية في هذا العالم على أسباب ومسببات تناط بتلك الأسباب وينسب أيضاً وقوعها إليها نظراً للصورة الوجودية وإن كان الكل في الحقيقة بقضائه وقدره باعتبار الحقيقة الإيجادية. وقد سئل النبي ﷺ عن إسقاط الأسباب نظراً إلى القضاء والقدر السابق فردّ عليه السلام على ذلك كما في الصحيحين[1] عنه ﷺ أنه قال: "مامنكم مِن أحدٍ إلاّ وقد عُلِم مقعده من الجنة ومقعده من النار، قالوا: يارسول اللّه أفلا ندعُ العملَ ونتّكل على الكتاب؟ فقال: لا. اعملوا فكل مُيسّر لما خُلق له".

وفي صحيح مسلم[2] في حديث علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ وفيه قال: "مامن نفسٍ منفوسةٍ إلاّ وقد كتب الله مكانها في الجنة والنار، وإلاّ وقد كتب شقيّةً أو سعيدة، قال فقال رجل: يارسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فقال: من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة. اعملوا فكل ميسّر لما خُلق له".

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب القدر باب "وكان أمر الله قدراً مقدوراً" (٢١٢/٧) ومسلم: كتاب القدر باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٢٠٤٠/٤).

(٢) صحيح مسلم: كتاب القدر (٢٠٣٩/٤).

وروى الإمام أبو حنيفة[١] عن عبدالعزيز[٢] بن رفيع عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص[٣] [عن أبيه][٤] قال: قال رسول الله ﷺ: "مامن نفس إلا وقد كتب الله مخرجها ومدخلها وماهي لاقية، فقال رجل من الأنصار: ففيم العمل يارسول الله؟ فقال: اعملوا كل ميسّر لما خُلق له. أمّا أهل الشقاء فييسّرون لعمل أهل الشقاء وأمّا أهل السعادة فييسّرون لعمل أهل السعادة، فقال الأنصاري الآن حقّ العمل".[٥]

وفي السنن:[٦] "أنه ﷺ قيل له أرأيت أدوية نتداوى بها ورقى نسترقي بها وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئاً؟ فقال عليه السلام: هي من قدر الله تعالى".

---

(١) أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي بالولاء، الكوفي، فقيه أهل العراق، وإمام جليل وفقيه متبع، وهو صاحب المذهب المشهور وأحد الأئمة الأربعة، قال الشافعي عنه: الناس في الفقه عيال عليه. وقال الذهبي: كان إماماً ورعاً عاقلاً متعبداً، كبير الشأن ....، وقد أكره على القضاء فأبى فحبس حتى مات سنة ١٥٠هـ رحمه الله. طبقات ابن سعد (٣٦٨/٦) وتاريخ بغداد (٣٢٣/١٣) وتذكرة الحفاظ (٤٦٨/١) وتهذيب التهذيب (٤٤٩/١٠).

(٢) عبدالعزيز بن رفيع بفاء مصغرا الأسدى أبو عبدالملك المكي، نزيل الكوفة، ثقة، توفي سنة ١٠٣هـ، وقيل بعد ذلك. الجرح والتعديل (٣٨١/٥) وتقريب التهذيب (٢١٤).

(٣) مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني، كان فاضلاً كثير الحديث، روى عن علي والكبار، توفي سنة ١٠٣هـ. العبر (٩٥/١).

(٤) زيادة من مسند أبي حنيفة والسنة لابن أبي عاصم، والسياق يقتضيها، وهي ساقطة من النسخة الخطية، ولعل ذلك سهواً.

(٥) أخرجه أبو حنيفة في مسنده (٣٨٣) وابن أبي عاصم في السنة (٧٦/١).

(٦) أخرجه أحمد في المسند (٤٢١/٣) والترمذي: كتاب القدر، باب ماجاء لا ترد الرقى ولا الدواء من قدر الله شيئاً (٤٠٠/٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه ابن ماجه: كتاب الطب، باب ماأنزل الله داء إلاأنزل له شفاء (١١٣٧/٢) والحاكم في المستدرك (١٩٩/٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

ولما رجع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عن دخول دمشق من أجل الطاعون قال له أبو عبيدة كما في الصحيحين[١] -وهو إذ ذاك أمير الشام-: أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها ياأبا عبيدة نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله".

فهذا كلام رسول الله ﷺ وكلام صاحبه صريح أن السبب والمسبّبَ بقدر الله تعالى، وقال الله تعالى: ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله**﴾[٢] وقال تعالى: ﴿**ياأيها الرسل كلوا من الطيّبات واعملوا صالحاً**﴾[٣] والآيات في هذا كثيرة، وقال الإمام ابن حزم[٤] رحمه الله في الملل والنحل: صحّ عن رسول الله ﷺ تصحيح الطبّ والأمر بالعلاج وأنه عليه السلام قال: "تداووا فإن الله تعالى لم يخلق داءً إلا خلق له دواءً إلا السام".[٥] والسام الموت[٦]، قال فاعترض قوم فقالوا: قد سبق علم الله عز وجل بنهاية أجل

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب ماذكر في الطاعون (٢١/٧) ومسلم: كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها (١٧٤٠/٤).

(٢) سورة التوبة: آية (١٠٥).

(٣) سورة المؤمنين: آية (٥١).

(٤) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي، الإمام المحدث الفقيه، كان شافعياً ثم تركه إلى القول بالظاهر، له مؤلفات كثيرة منها: المحلى، الفصل في الملل والنحل، توفي سنة ٤٥٦هـ. وفيات الأعيان (٣٢٥/٣) وسير أعلام النبلاء (١٨٤/١٨) وشذرات الذهب (٢٩٩/٣).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٧٨/٤) وأبو داود: كتاب الطب، باب في الرجل يتداوى (١٩٢/٤) والترمذي: كتاب الطب، باب الدواء والحث عليه (٣٨٣/٤) وقال هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجة: كتاب الطب، باب ماأنزل الله داء إلا أنزل له شفاء (١٣٧/٢) والحاكم في المستدرك (٣٩٩/٤) وقال هذا حديث صحيح الاسناد ووافقه الذهبي.

(٦) انظر لسان العرب (٢٨٠/١٢).

المرء ومدة صحته ومدة سقمه فأي معنى للعلاج؟ قال: فقلنا لهم نسألكم هذا السؤال نفسه في جميع مايتصرف فيه الناس من الأكل والشّرب واللباس لطرد البرد والحر والسعي في المعاش بالحرث والغرس والقيام على الماشية والتحرف بالتجارة والصناعة، ونقول لهم: قد سبق علم الله تعالى بنهاية أجل المرء ومدة صحته ومدة سقمه فأي معنى لكل ماذكرنا؟ فلا جواب لهم إلا أن يقولوا: إن علم الله تعالى قد سبق أيضاً بما يكون من كل ذلك وبأنها أسباب إلى بلوغ نهاية العمر المقدرة، فنقول لهم: وهكذا الطب قد سبق في علم الله تعالى أن هذا العليل يتداوى وأن تداويه سبب إلى بلوغ نهاية أجله، فالعلل مقدّرة والزمانة مقدّرة والموت مقدّر والعلاج مقدّر، ولا مردّ لحكم الله ونافذ علمه في كل شيء من ذلك".(١)

وقال العلامة ابن القيم:-(٢) بعد تقريره نفع الدعاء والأمر به ودفعه

---

(١) بحثت كثيراً عن هذا النص في الفصل في الملل والنحل لابن حزم المطبوع فلم أجده، ولعله سقط منه، وقلت: لعل المؤلف رحمه الله قد وهم في عزوه إلى الفصل فبحثت عنه في كتب ابن حزم الأخرى المطبوعة فلم أجده، والله أعلم.

(٢) الإمام العلامة المجتهد شمس الدين أبو محمد محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد الزرعي الدمشقي المشهور بابن قيم الجوزية، الفقيه المحدث المفسر كان واسع الاطلاع، غزير المعرفة قال ابن كثير رحمه الله تعالى: سمع الحديث واشتغل بالعلم، وبرع في علوم متعددة لا سيما علم التفسير والحديث والأصلين... ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه، وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جداً ويمد ركوعها وسجودها ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان فلايرجع ولاينزع عن ذلك رحمه الله. له مصنفات كثيرة وكلها مفيدة ونافعة ومنها "زاد المعاد"، "أعلام الموقعين"، "اجتماع الجيوش الإسلامية"، توفي سنة ٧٥١هـ رحمه الله تعالى.
البداية والنهاية (١٤/٢٠٢-٢٠٤) والوافي بالوفيات (٤/٢٧٠) والبدر الطالع (٢/١٤٣).

للبلاء:- وقد اعترض قوم بأن المدعو به إن كان قد قدر لم يكن بدّمن وقوعه دعا به العبد أو لم يدع، لأن كل مقدّرٍ كائن كما دلت عليه الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة، وإن لم يكن قُدّر لم يقع سأله العبد أو لم يسأله، فظنت طائفة صحة هذا الكلام فتركت الدعاء وقالوا لافائدة فيه، قال: وهؤلاء مع فرط جهلهم وضلالتهم متناقضون، فإن مذهبهم يوجب تعطيل جميع الأسباب، فيقال لأحدهم إن كان الشبع والريّ قد قدّرا لك فلابدّ من وقوعهما أكلت أو لم تأكل شربت أو لم تشرب فلا حاجة للأكل والشرب، وإن كان الولد قد قدّر لك فلابدّ منه وطئت الزوجة والأمة أو لم تطأ، وإن لم يقدّر لم يكن فلا حاجة للتزويج والتسري فهل يقول هذا عاقل أو آدمي، بل الحيوان إليهم مفطور على مباشرة الأسباب التي بها قوامه ونفعه واجتناب التي بها ضرره، فالحيوان أعقل وأفهم من هؤلاء الذين هم كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً".(١)

قال:(٢) "وعلى هذا فالدعاء من أقوى الأسباب، فإذا قدّر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال لافائدة في الدعاء كما لايقال لافائدة في الأكل والشرب وجميع الحركات والأعمال".(٣)

قال ابن تيمية: "والناس قد اختلفوا في الدعاء المستعقب بقضاء الحاجات، فزعم قوم من المبطلين متفلسفة ومتصوفة أنه لافائدة فيه أصلاً فإنّ المشيئة الإلهية والأسباب العلوية إمّا أن تكون قد اقتضت وجود المطلوب وحينئذٍ فلا حاجة إلى الدعاء، أو لاتكون اقتضته حينئذٍ فلاينفع

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص(١٥).
(٢) القائل ابن القيم رحمه الله.
(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص(١٦).

الدعاء، وقال قوم ممن يتكلمّ في العلم بل الدعاء علامة ودلالة على حصول المطلوب، وجعلوا ارتباطه بالمطلوب ارتباط الدليل بالمدلول لاارتباط السبب بالمسّبب.(١)

قال: "والصواب ماعليه الجمهور في أن الدعاء سبب لحصول الخير المطلوب كسائر الأسباب المقدّرة والمشروعة، وإذا أراد الله بعبدٍ خيراً ألهمه دعاءه والاستعانة به وجعل استعانته ودعاءه سبباً للخير الذي قضاه له كما أن الله تعالى إذا أراد أن يشبع عبداً أو يرويه ألهمه أن يأكل ويشرب، وإذا أراد أن يتوب على عبد ألهمه أن يتوب فيتوب عليه، وإذا أراد أن يرحمه أو يدخله الجنّة يسّره لعمل أهل الجنة، والمشيئة الإلهية اقتضت وجود هذه الخيرات بأسبابها المقدّرة لها، كما اقتضت دخول الجنة بالإيمان ودخول النار بالكفر، وحصول الولد بالوطء والعلم بالتعليم".(٢)

لكن ليس كل مايظنه الإنسان سبباً يكون سبباً كما قد بسطت الكلام على هذا في كتابي "شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور"(٣)، والمقصود هنا إنما هو بيان أن الطاعات سبب للثواب والمعاصي سبب للعقاب خلافاً للمتصوفة الإباحية، كما أنه سبحانه جعل إرسال الرسل سبباً لهداية المؤمنين وإقامة حجة الله على الكافرين(٤)، ولولا إرسال الرسل ما حصلت هداية المؤمن ولا قامت حجّة الله على كافر.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٧٠٥/٢).

(٢) المصدر السابق (٧٠٥/٢،٧٠٦).

(٣) انظر رقم (٤٢) من مصنفات المؤلف المخطوطة التي سبقت.

(٤) كما قال تعالى: ﴿**رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً**﴾ [سورة النساء: الآية ١٦٥].

والحاصل أن الأسباب وتأثيرها بمشيئة الله مما لاينكر وإن كان الله تعالى هو خالق السبب والمسبب لاسيما وقد دلّ العقل والنقل والفطرة وتجارب الأمم على اختلاف أجناسها ومللها ونحلها على أن التقرّب إلى رب الأرباب وطلب مرضاته والإحسان إلى خلقه من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير، وأضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر، فما استجلبت نعم الله واستدفعت نقمه بمثل طاعته والتقرب إليه والإحسان إلى خلقه، وقد رتبّ الله سبحانه حصول الخير والشرّ في الدنيا والآخرة في كتابه العزيز على الأعمال ترتيب الجزاء على الشرط والعلة على المعلول والمسّبب على السبب، فقال تعالى: ﴿**إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفّر عنكم سيّئاتكم ويغفر لكم**﴾[١] وقال: ﴿**إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفّر عنكم**﴾[٢] قال: ﴿**لئن شكرتم لأزيدنّكم**﴾[٣] الآية، وقال: ﴿**من يعمل سوءاً يجز به**﴾[٤] وقال: ﴿**فلولا أنّه كان من المسبّحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون**﴾[٥]، وبالجملة فالقرآن من أوله إلى آخره صريح في ترتيب الجزاء بالخير والشر والأحكام الشرعية مترتبة على الأسباب، بل أحكام الدنيا والآخرة ومصالحهما ومفاسدهما على الأسباب والأعمال. ومن فقه في هذه المسألة وتأملها حقّ التأمل انتفع بها غاية النفع ولم يتّكل على القدر جهلا منه وعجزاً أو تفريطاً وإضاعة، فيكون توكله عجزاً وعجزهُ توكّلاً، بل الفقية العارف هو الذي يردّ القدر

---

(١) سورة الأنفال: آية (٢٩).
(٢) سورة النساء: آية (٣١).
(٣) سورة إبراهيم: آية (٧).
(٤) سورة النساء: آية (١٢٣).
(٥) سورة الصافات: آية (١٤٣).

بالقـدر ويجلب القدر بالقدر ويعـارض القدر بالقدر، بل لايمكـن الإنسان أن يعيش إلاّ بذلك، فإن الجوع والعطش والبرد وأنواع المخاوف والمحاذير هي من القدر، والخلق كلهم ساعون في دفع هذا القدر بالقـدر، وهكذا من وفّقه اللـه تعـالى وألهمـه رشده فـإنه يدفـع قـدر العقوبة الأخروية بقـدر التـوبة والإيمان والأعمـال الصـالحة، [فـإن وزان القـدر المخـوف في الآخرة وزان القدر المخوف في الدنيا][1]، فربّ الدارين واحد، وحكمته واحدة لايناقض بعضها بعضاً ولايبطل بعضها بعضا.

وهذه المسألة من أشرف المسائل لمن عرف قدرها ورعاها حقّ رعايتها، فثبت بما تقرر أن الله تعالى جعل للسعادة والشقاوة أسبـاباً وأنه سبحانه هو مسبب الأسباب وخالق كل شيء بسبب كما اقتضت ذلـك حكمته ومشيئته، وأن الأسبـاب لابد منها في وجود المسببـات، بمعنى أن اللّـه تعـالى لا يحدث المسّببـات ويشـاؤها إلاّ بوجـود الأسباب، لكـن الأسباب كمـا قـال فيهـا الإمـام الغـزالي[2] والحافـظ ابـن[3] الجـوزي

(١) هكـذا العبـارة في المخطوط ولعـل صوابها [فإن وزن القـدر المخـوف في الآخرة وزن القدر المخوف في الدنيا] والله أعلم.

(٢) أبو حامـد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، فيلسـوف متصوف، له كتب كثيرة في الفقـه والأصـول والتفسير وغيرهـا، ومنهـا "المستصفـى، إحيـاء علـوم الـدين، الاقتصـاد في الاعتقـاد"، توفي سنـة ٥٠٥هـ. العبر (٣٨٧/٢) والنجـوم الزاهرة (٢٠٣/٥) والوافي بالوفيات (٢٧٧/١) وشذرات الذهب (١٠/٤).

(٣) أبو الفـرج عبـدالرحمن بن علي بن محمـد بن علي بن الجوزي الحافـظ الكبـير جمـال الـدين البغـدادي الحنبلي الـواعظ صـاحب التصـانيـف الكثيرة في التفسير والحديث والفقـه والـزهد والـوعـظ والتـاريخ، ومنهـا زاد المسير في علم التفسير، المنتظـم في تاريخ الأمـم، توفي سنـة ٥٩٧هـ. العبر (١١٨/٣) وفيـات الأعيـان (٣٢١/٢) وشذرات الذهب (٣٢٩/٤).

وغيرهما:[١] الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، والإعراض عن الأسباب بالكلّية قدح في الشرع[٢]، والتوكّل معنى يلتئم به معنى التوحيد والعقل والشرع، فالمؤمن المتوكّل يباشر الأسباب كما قال تعالى: ﴿**ياأيها الّذين آمنوا خذوا حذركم**﴾[٣]، وقال: ﴿**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾[٤]، ولا يلتفت إليهابمعنى أن لايطمئن إليها ولايثق بها ولايرجوها ولايخافها فإنه ليس في الوجود سبب يستقل بحكم بل كل سبب فهو مفتقر إلى أمور أخر تُضمّ إليه كالإخلاص والقبول مثلاً، وله مواضع وعوائق تمنع موجبه، وما ثمّ سبب مستقل بنفسه إلاّ مشيئة الله وحده فماشاء كان ومالم يشأ لم يكن، وماسبق به علمه وحكمه فهو حق واقع وقد علم وحكم أن الشيء الفلاني يقع بالسبب الفلاني، فمن شهد وقوع الولد وحصوله المقدّر بسببه الذي هو الوطء فشهوده كامل،ومن شهدحصول ولد له بلاوطء فشهوده ناقص أعمى.

نوّر الله تعالى بصيرتنا ورزقنا الإيمان بما قاله هو ورسوله آمين.

---

(١) انظر إحياء علوم الدين للغزالي (٢٧٥/٢) وصيد الخاطر لابن الجوزي (٨٧) ومجموع الفتاوى (١٧٠/٨) وشفاء العليل (٥٤).

(٢) وتمام العبارة كما ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره: "الالتفات إلى الاسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الاسباب بالكليةقدح في الشرع، وإنماالتوكل والرجاءمعنى يتألف من موجب التوحيد والعقل والشرع". مجموع فتاوى ابن تيمية (٦٩/٨)، والمطلوب من المسلم الاعتدال بلاإفراط ولاتفريط فلايعتمد على الأسباب ويتعلق بها من حصول متطلباته وتحقيقها لأنه شرك حيث إنه نسب إليهاماهو حق لله عز وجل، ولايدع العمل بالأسباب التي شرعها الله عز وجل ويعرض عنها لأن ذلك مجافاة للشرع ومنافاة للعقل، وعليه أن يعمل بالأسباب ويعتمد على مسبب الأسباب وخالقها وهو الله سبحانه وتعالى الذى بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير.

(٣) سورة النساء: آية (٧١).

(٤) سورة البقرة: آية (١٩٥).

«الجواب الثاني»

وأما الجواب عن الثاني وهو أنّ آدم قد احتجّ على موسى بالقدر إلى آخره، فنقول: نعم قد ورد ذلك في الحديث الصحيح لكن ليس هو على معنى مايتوهمه الإباحية[١] المحتجون على فعل المعاصي بالقدر كما سيأتي، واحتجاج آدم وموسى عليهما السلام قد رواه البخاري ومسلم[٢] وغيرهما عن أبي هريرة، وروى أيضاً بإسناد جيد عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: "-احتجّ آدم وموسى- وفي لفظ أن موسى قال يارب أرنا آدم الذي أخرجنا من الجنة بخطيئته، فقال موسى: ياآدم أنت أبو البشر خلقك اللّه بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته، لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ ، فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه وكتب لك التوراة بيده فبكم تجد فيها مكتوباً وعصى آدم ربه فغوى قبل أن أُخلق، قال بأربعين سنة".

وفي لفظ قال: "افتلومني على أمر قد قدره اللـه عليّ قبل أن أُخلق بأربعين سنة قال: فحجّ آدم موسى".

---

(١) الإباحية: منسوبون إلى قولهم بأن الأشياء كلها على الإباحة لأنه لاضرر على الله تعالى في ذلك مع اعتقادهم الإيمان، قال البغدادي: هؤلاء صنفان: صنف منهم كانوا قبل دولة الإسلام كامزوكية الذين استباحوا المحرمات. وزعموا أن الناس شركاء في الأموال والنساء، ودامت فتنة هؤلاء إلى أن قتلهم أنوشروان في زمانه.
والصنف الثاني: الحزمدينية، ظهروا في الإسلام وهم فريقان: بابكية. ومازيادية. وكلتاهما معروفة بالمجمرة. الفرق بين الفرق (٢٦٦) والبرهان في عقائد أهل الأديان (٤٦).

(٢) تقدم تخريج الحديث (ص٥٤).

قال شيخ الأسلام ابن تيمية: "فهذا الحديث ظن فيه طوائف أن آدم احتجّ بالقدر على الذنب وأنّه حجّ موسى بذلك فطائفة من هؤلاء يدعون التحقيق والعرفان يحتجّون بالقدر على الذنوب مستدلين بهذا الحديث.(١)

وطائفة يقولون الاحتجاج به سائغ في الآخرة لا في الدنيا.(٢)

وطائفة يقولون هو حجّة للخاصة المشاهدين للقدّر دون العامّة.(٣)

وطائفة كذّبت(٤) به كالجبائي(٥) وغيره.

وطائفة تأوّلته تأويلات فاسدة مثل قول بعضهم إنما حجّه لأنه كان

---

(١) وهم الجبرية ومن وافقهم الذين كلما عملوا معصية احتجوا بالقدر واستدلوا بهذا الحديث، وقولهم باطل ومردود لأنه بهذا القول يسقط اللوم وتضيع الحقوق وتبطل النبوات. انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/٣٠٥).

(٢) وهو قول باطل لأنه مبنى على أن اللوم وقع في غير دار التكليف وهو فاسد -كما ذكر ابن القيم- لوجهين:
أحدهما: أن آدم لم يقل له لمتني في غير دار التكليف، وإنما قال: أتلومني على أمر قدر عليّ قبل أن أخلق، فلم يتعرض للدار، وإنما احتج بالقدر السابق.
والثاني: أن الله -سبحانه- يلوم الملومين من عباده في غير دار التكليف، فيلومهم بعد الموت ، ويلومهم يوم القيامة. شفاء العليل (٣١).

(٣) وهذا قول بعض الصوفية الذين يقولون إن آدم شهد الحكم وجريانه على الخليقة وتفرد الرب سبحانه وتعالى بربوبيته وهذا لايدع للعبد استقباح سيئة لأنه شهد نفسه عدماً محضا، قالوا: ومن شهد هذا سقط عنه اللوم، وهذا مسلك باطل قال ابن القيم: وهذا المسلك أبطل مسلك سلك في هذا الحديث... ولو صح لبطلت الديانات جملة، وكان القدر حجة لكل مشرك وظالم، ولم يبق للحدود معنى، ولا يلام جانٍ على جنايته، ولا ظالم على ظلمه، ولا يُنكر منكرٌ أبدا. شفاء العليل (٣١).

(٤) لا عبرة بهذا القول لأن الحديث ثابت في الصحيحين وغيرهما.

(٥) أبو علي محمد بن عبدالوهاب البصري، شيخ المعتزلة وإمامهم بالبصرة، وإليه تنسب الفرقة الجبائية، له تفسير طويل للقرآن الكريم، توفي سنة ٣٠٣هـ. العبر (١/٤٤٤) والنجوم الزاهرة (٣/١٨٩) والبداية والنهاية (١١/١٢٥).

تاب[1]، وقول آخر كان أباه والابن لايلوم أباه[2]، وقول آخر كان الذنب في شريعة واللوم في أخرى.[3]

قال: وهذا كله تعريج عن مقصود الحديث".[4]

وحاصل مايؤخذ من كلام ابن تيمية ومن ماهر الحديث أن آدم إنما حجّ موسى لكونه كان قد تاب من الذنب الصوري واستسلم للمصيبة التي لحقت الذريّة بسبب أكله المقدّر عليه، فالحديث تضمن التسليم للقدر عند وقوع المصائب[5]، وعدم لوم المذنب التائب وأن (المؤمن مأمور أن يرجع إلى القدرعند المصائب لاعند الذنوب والمعايب فيصبر على المصائب ويستغفر

---

(١) ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أن هذا القول وإن كان أقرب إلى الصواب من غيره فإنه لايصح لثلاثة وجوه:
أحدها: أن آدم لم يذكر ذلك الوجه، ولا جعله حجة على موسى، ولم يقل أتلومني على ذنب قد تبت منه.
الثاني: أن موسى أعرف بالله سبحانه وبأمره وبدينه من أن يلوم على ذنب قد أخبره سبحانه أنه قد تاب على فاعله واجتباه بعد هداه، فإن هذا لايجوز لآحاد المؤمنين أن يفعله فضلاً عن كليم الرحمن.
الثالث: أن هذا يستلزم إلغاء ماعلق به النبي ﷺ وجه الحجة، واعتبار ماألغاه، فلا يلتفت إليه. شفاء العليل (٣١،٣٠)

(٢) القول بأنه حجه لأنه أبوه قول فاسد، لأن الحق يجب الأخذ به والتعويل عليه سواء كان مع الأب أو الابن أو العبد أو السيد وهو الذي به الفوز والفلاح والنجاة. انظر شفاء العليل (٣٠).

(٣) وهذا أيضا قول فاسد لأن هذه الأمة تلوم الأمم المخالفة لرسلها المتقدمة عليها، وإن كانت لم تجمعهم شريعة واحدة. شفاء العليل (٣٠).

(٤) منهاج السنة النبوية (٨٠،٧٩/٣) وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٢٥/٨).

(٥) والاحتجاج بالقدر على المصائب حسن ومحمود كما قال النبي ﷺ: "وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وماشاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان" أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٥٢/٤) كتاب القدر.

من الذنوب كما قال تعالى: ﴿**فاصبر إنّ وعد الله حق واستغفر لذنبك**﴾.[١]

وقال تعالى: ﴿**ماأصاب من مُصيبةٍ إلّا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبهُ**﴾.[٢]

قالت طائفة من السلف كابن مسعود: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم.[٣]

وقال غير واحد من السلف: "لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ماأصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه". فالإيمان بالقدر والرضا بما قدّره الله من المصائب والتسليم لذلك هو من حقيقة الإيمان، وأمَّا الذنوب فليس لأحد أن يحتج على فعلها بقدر الله بل عليه أن لا يفعلها، وإذا فعلها فعليه أن يتوب منها كما فعل آدم عليه السلام.

قال بعض السلف: "اثنان أذنبا؛ آدم وإبليس فآدم تاب فتاب الله عليه واجتباه، وإبليس أصرّ على معصيته واحتج بالقدر فلُعن وطُرد". فمن تاب من ذنبه أشبه آدم، ومن أصرّ واحتجّ بالقدر أشبه إبليس)[٤] ومن تاب لايحسن لومه على ذنبه الذي صدر منه، وكيف يلام على سيئات كلها حسنات لقوله تعالى: ﴿**فأولئك يبدّل الله سيّئاتهم حسناتٍ**﴾[٥]، ومن لم يتب يلام ولايحسن منه أن يحتج على إصراره بالقدر لأنه لوكان القدر حجّة

---

(١) سورة غافر: آية (٥٥).

(٢) سورة التغابن: آية (١١).

(٣) قال السيوطي في الدر المنثور (١٨٤/٨) أخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود رضي الله عنه في الآية قال: هي المصيبات تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيسلم لها ويرضى.
وأخرج ابن جرير الطبري في تفسيره (١٢٣/٢٨) بسنده عن علقمة: في قوله: "ماأصاب من مصيبة إلا بإذن الله، ومن يؤمن بالله يهد قلبه قال: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيسلم لها ويرضى".

(٤) انظر منهاج السنة (٢٦/٣، ٢٧).

(٥) سورة الفرقان: آية (٧٠).

لكان حجة لإبليس وفرعون وسائر الكفار، وأيضاً فآدم وموسى أعلم بالله من أن يحتج أحدهما على فعل المعصية بالقدر ويقبله الآخر إذ لاتلبّس لآدم بمعصية حال الاحتجاج، وأيضاً فلوكان ذلك مقبولاً لكان لإبليس الحجّة بذلك أيضاً، وكان لفرعون الحجّة على موسى بذلك أيضاً وكذلك سائر الكفار.

واعلم أن موسى عليه السلام لم يلم آدم على ذنبه الذي تاب منه فإن التائب من الذنب كمن لاذنب[١] له، وموسى أعلم بالله من أن يلوم تائباً فكيف بأبيه آدم الذي تاب الله عليه واجتباه، وإنما لامه لأجل مالحق الذريّة من المصيبة المستمرة، والمصيبة تقتضي نوعاً من الجزع يقتضي لوم من كان سببها كما يلام من أوقع أصحابه في مشقة، ولهذا لم يقل له موسى "لماذا أكلت من الشجرة" وإنما قال له: "لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة"[٢]، وهذا اللفظ قد روى في بعض طرق الحديث وإن لم يكن في جميعها فهو مبني لما وقفت عليه الملامة فتأمّل. فظهر بما تقرر أن احتجاج آدم على موسى بالقدر وأنّه حجّ موسى به، ليس هو على معنى ما يتوهمه الإباحية والزنادقة بل على المعنى المتقدم الظاهر لكل مُسْلِم مُسلِّم.

---

(١) وقد دل على ذلك حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "التائب من الذنب كمن لا ذنب له" أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الزهد -باب ذكر التوبة (١٤٢٠/٢) والطبراني في الكبير (١٨٥/١٠)، والقضاعي في مسند الشهاب (٩٧/١) وأبو نعيم في الحلية (٢١٠/٤)، والخطيب في الموضح (٢٥٨/١) والسهمي في تاريخ جرجان (٣٩٩) كلهم من حديث ابن مسعود.
قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤٧١/١٣): وسنده حسن.
وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (١٥٢): حسنه شيخنا -ابن حجر- يعني لشواهده.
ورمز له الحافظ السيوطى بالحسن في الجامع الصغير (١٣٤)، وكذا الألباني في صحيح الجامع (٥٧٨/١).

(٢) جزء من حديث "فحج آدم موسى" تقدم (ص٥٤).

«الجواب الثالث»

وأما الجواب الثالث وهو ماالدليل على إبطال الاحتجاج بالقدر وذمّه مع أن آدم احتجّ به؟.

فنقول: أمّا دعوى أن آدم عليه السلام احتجّ على فعل المعاصي بالقدر فهو قول باطل وافتراء لما تقدم، والاحتجاج بالقدر على فعل الذنوب والمعاصي باطل باتفاق أهل الملل وذوي العقول وهو مما يعلم بطلانه بضرورة العقل.

فإن الظالم لغيره لو احتج بالقدر لاحتجّ ظالمه أيضاً بالقدر، فإن كان القدر حجة لهذا فهو حجة لهذا.

قال ابن تيمية في رده على الرافضة[1] والإباحية: إنّ الاحتجاج بالقدر حجة باطلة داحضة باتفاق كل ذي عقل ودين من جميع العالمين، والمحتج به لايقبل من غيره مثل هذه الحجة إذا احتجّ بها في ظلم ظلمه إيّاه، أو ترك ماعليه من حقوقه، بل يطلب منه ما له عليه، ويعاقبه على ذلك لأن القلوب

---

(١) الرافضة: هم جماعة غلاة الشيعة، سموا بذلك لرفضهم إمامة زيد بن علي حينما توجه إلى قتال هشام بن عبدالملك فقال أصحابه: تبرأ من الشخصين حتى نكون معك، فقال: لا بل أتولاهما واتبرأ ممن تبرأ منهما فقالوا: إذاً نرفضك، وهم فرق متعدده والغلاة منهم هم المجسمة الذين يشبهون الله عز وجل بخلقه وهم الهشامية الذين ينقسمون إلى فرقتين: فرقة تنسب إلى هشام بن الحكم الرافضي، والفرقة الأخرى تنسب إلى هشام بن سالم الجوالقي.
وقد أجمع الرافضة على إثبات الإمامة عقلاً وأن إمامة علي وتقديمه ثابتة نصاً وأن الأئمة معصومون لايجوز عليهم الغلط والسهو، وأن الأمة ارتدت بتركها إمامة علي رضي الله عنه. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٦٤) ومقالات الإسلاميين (٨٩/١) والفرق بين الفرق (٦٥) والبرهان في عقائد أهل الأديان (٦٥) والرد على الرافضة للمقدسي (٦٥-٦٨).

تعلم بالضرورة أن هذه شبهة باطلة، ولهذا لايقبلها أحد من أحد عند التحقيق، وإنما يحتج بالقدر على القبائح والمظالم من هو متناقض في قوله متّبع لهواه كما قال بعض العلماء: "أنت عند الطاعة قدريّ، وعند المعصية جبريّ"، أيّ مذهب وافق هواك تمذهبت به.

ولو كان القدر حجة لفاعل الفواحش والمظالم لم يحسن أن يلوم أحدٌ أحداً ولايعاقب أحدٌ أحداً، وكان للإنسان أن يفعل في دم غيره وماله وأهله مايشتهيه من المظالم والقبائح ويحتج بأنّ ذلك مقدّر عليّ، ثمّ أصل الاحتجاج بالقدر إنما هو قول المشركين الذين اتبعوا أهواءهم بغير علم، ولهذا لما قال المشركون كما حكى اللّه عنهم ﴿**سيقول الّذين أشركوا لو شاء الله ماأشركنا ولاآباؤنا ولا حرّمنا من شيء**﴾[١] قال الله تعالى: ﴿**قل هل عندكم من علمٍ فتخرجوه لنا إن تتّبعون إلاّ الظّنّ وإن أنتم إلاّ تخرصون**﴾[٢] فإن هؤلاء المشركين يعلمون بفطرتهم وعقولهم أن هذه الحجّة داحضة باطلة فإنّ أحدهم لو ظلم الآخر في مالِه أو فجر بامرأته أو قتل ولده أو كان مصرّاً على الظلم فنهوه عن ذلك فقال: لو شاء الله لم أفعل هذا، لم يقبلوا منه هذه الحجة ولا هو يقبلها من غيره وإنّما يحتج به المحتجّ رفعاً للّوم بلا وجه، ولهذا قال الله لهم: ﴿**قل هل عندكم من علم**﴾ بأن هذا الشرك والتحريم من أمر الله وأنه مصلحة ينبغي فعله ﴿**إن تتّبعون إلاّ الظّن**﴾ فإنه لاعلم عندكم بذلك إن تظنّون ذلك إلا ظناً ﴿**وإن أنتم إلاّ تخرصون**﴾ تحزرون[٣]

---

(١) سورة الأنعام: آية (١٤٨).

(٢) سورة الأنعام: آية (١٤٨) .

(٣) حزر الشيء يحزره بضم زاى المضارع وكسرها: قدره بالحدس، والحازر: الخارص. لسان العرب (١٨٥/٤).

وتفترون، فعمدتكم في نفس الأمر ظنكم وخرصكم واتباع أهوائكم لا كون الله شاء ذلك وقدّره، فإنه أمر غائب عنا، ولأن مجرد المشيئة والقدر لايكون عمدة لأحد في الفعل، ولا حجّة به لأحد على أحد، إذ الناس كلهم مشتركون في القدر، فلو كان هذا حجة لم يحصل فرق بين العادل والظالم، والصادق والكاذب، والعالم والجاهل، والبر والفاجر، ولم يكن فرق بين ما يصلح الناس في الأعمال وما يفسدهم، وما ينفعهم ويضرهم، وهؤلاء [المشركون](١) إنما يحتجون بالقدر على ترك ماأرسل الله به رسله في توحيده والإيمان به، ولو احتجّ به بعضهم على بعض في إسقاط حقوقه ومخالفة أمره لم يقبله منه، بل كان هؤلاء المشركون المحتجون بالقدر يذمّ بعضهم بعضاً ويعادي بعضهم بعضاً ويقاتل بعضهم على فعل مايرونه تركاً لحقهم أو ظلماً لهم فلما جاءهم الرسول ﷺ يدعوهم إلى حقّ الله على عباده وطاعة أمره ومخالفة أهوائهم احتجّوا بالقدر على ذلك اتباعاً للظنّ وما تهوى الأنفس، فتبيّن أن أصل مقالة الاحتجاج بالقدر إنما هو قول أهل الجاهلية المشركين الذين لا علم عندهم إلا اتباع الظن وما تهوى الأنفس، فمن احتجّ به فقد التحق بهم في الجهل والضلال واتباع الهوى، ولهذا تجد المحتجين به والمستندين إليه من المتصوفة والفقراء ومن التحق بهم من العامة والجند والفقهاء وغيرهم، إنما يحتجون به عند إتباع الظن وما تهوى الأنفس، فإذا أمر أحدهم بما يجب عليه أو نهى عمّا حرّمه الله تعالى تعلّل بالقدر، وقال حتى يقدّر الله لي ذلك أو يقدرني الله على ذلك أو قضى اللّه عليّ بذلك فأي حيلة في دفعه وهو متلبس به، ولو كان معهم علم وهدىً لم يحتجوا

---

(١) مابين القوسين في المخطوط "المشركين" والصواب ما أثبت.

بالقـدر أصلاً، وهذا أصل شـريف من اعتنى به عرف منشـأ الضلال والغـي لكثير مـن النـاس، ولهذا تجد المشـايخ الصـالحين من الصـوفية المتّبعين للعلم والهـدى كثيراً مـايوصون أتبـاعهم بالعلم والشّرع لأنّه كثيراً مـاتعرض لهـم إرادات في أشيـاء ومحبـة لهـا فيتبعـون فيها أهواءهم ظـانين أنهـا دين اللـه وليس معهم إلاّ الظن والذوق والوجد[١] الذي يرجع إلى محبّة [النفس][٢] وإرادتهـا فيحتجّون تارة بالقـدر وتارة بالظنّ والخرص، وهـم في الحقيقة إنّما هم متبعون أهواءهم بغير هدي من الله)[٣].

ولهـذا كان المحتجون بالقـدر على فعل المعاصـي أعظـم بدعةً وأشنع قولاً وأقبح طريقةً من المكذبين بالقدر من المعتزلـة والشيعة[٤] والرافضة فإن

---

(١) قال الجرجاني: الوجد: مايصادف القلب، ويرد عليه بلا تكلـف وتصنع، وقيل هو بروق تلمـع ثم تخمد سريعاً، وقـال الغزالي: هو حال تتـوسط السماع والرقص، فالسماع يثمر في القلب حالة تسمى الوجد، ويثمر الوجد تحريك الاطـراف، إما بحركـة غير مـوزونة فتسمى الاضطـراب، وإمـا بحركة مـوزونة فتسمـى التصفيـق والرقص. التعريفات (٢٥٠)، احياء علوم الدين (٢/٢٩٣-٢٩٤).

(٢) مابين القوسين من منهاج السنة (٣/٥٩) والسياق يقتضيها.

(٣) منهـاج السنة النبوية (٣/٥٥-٥٩) مع اختلاف في بعض الألفـاظ ونقص وزيادة.

(٤) الشيعة: يطلق هذا الاسم على كل من يتولى علياً وأهل بيتـه حتى صار اسماً لهم خاصـاً يقـول أبو الحسـن الاشعـري: "إنما قيـل لهـم شيعـة لأنهـم شـايعوا عليـاً ويقـدمونه على سائر أصحاب رسـول الله ﷺ" ثم زاد الأمـر على هذا كمـا قال الشهـرستاني: "الشيعـة هـم الـذين شـايعوا عليـاً على الخصـوص وقـالوا بإقـامته وخلافته نصاً ووصية إما جلياً أو خفياً، واعتقدوا أن الإمـامة لاتخرج عن أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو تقية من عنده".

وقد انقسمت الشيعة إلى عدة فرق وفيه خلاف بين مؤرخي الفرق في تقسيم فرق الشيعـة فمنهـم من جعلهم ثلاثة أقسـام وهم: الغالية والـرافضة والـزيدية، وهو قـول أبي الحسـن الأشعري ومنهـم من جعلهم أربعة وهم: الـزيدية، والامـامية، والكيسـانية، والغلاة وهو قول البغدادي وهناك من زاد على هذا.

مقـالات الإسلاميين (١/٦٥-٨٨) والفـرق بين الفرق (٢١-٢٣) والملـل والنحـل للشهرستاني (١/١٤٦،١٤٧) والتبصير بالدين للاسفرائيني (١٦).

هؤلاء بتعظيمهم الأمر والنهي والوعد والوعيد خير من الذين يرون القدر حجّة لمن ترك المأمور وفعل المحظور، فلاريب أنّ هؤلاء شّر من المعتزلة والشيعة الذين يقرّون بالأمر والنهي والوعد وفعل الواجبات وترك المحّرمات وإن لم يقولوا إنّ الله خلق أفعال العباد ولايقدر على ذلك ولا شاء المعاصي فإنهم قد قصدوا تعظيم الأمر وتنزيه الله عن الظلم وإقامة حجّة الله على خلقه بخلاف هؤلاء المحتجين على المعاصي فإنهم وإن أثبتوا قدرته تعالى ومشيئته وخلقه لكنهم عارضوا بذلك أمره ونهيه ووعده ووعيده، وقولهم يقتضي إفحام الرسل وأن لاحجة لله على خلقه.

وقد قال سبحانه: ﴿**قل فلله الحجّة البالغة**﴾[١] بإرسال الرسل وإنزال الكتب فلا حجّة عليه لأحد بعد ذلك، ثم أثبت تعالى القدر بقوله بعد ذلك: ﴿**فلو شاء لهداكم أجمعين**﴾[٢] فأثبت سبحانه الحجّة الشرعية وبين المشيئة القدرية وكلاهما حق.

(وقال تعالى في سورة النحل:[٣] ﴿**وقال الّذين أشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شيء نحنّ ولا آباؤنا ولا حرّمنا من دونه من شيء كذلك فعل الّذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين**﴾ فبين سبحانه أن هذا الكلام تكذيب للرسل فيما جاءوا به)[٤] وليس هو بحجة بل معاندة ومكابرة وتعريج عن الحق، فالقدرية[٥] ونحوهم ممن لم يقل إن الله تعالى خالق

---

(١) سورة الأنعام: من الآية (١٤٩).
(٢) سورة الأنعام: من الآية (١٤٩).
(٣) سورة النحل: الآية (٣٥).
(٤) مابين القوسين من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية منهاج السنة (٣/٦٠).
(٥) القدرية: هم أتباع معبد الجهني، وسموا بذلك لقولهم في القدر، وهم ==

لأفعــال العبـاد وإن أشبهـوا المجـوس[1] وإنهـم مجـوس هـذه الأمـة لكـن

(=) يزعمون أن العبد يخلق فعله، وأن أفعال العباد مقدرة لهـم على جهة الاستقلال، والمتقـدمون منهـم ينكرون علم الله بالأشيـاء قبل وجودهـا، وهـم أكثر الـذين كفرهم السلف قال السفاريني: "قال العلماء: المنكرون لهذا انقرضوا، وهم الذين كفـرهم عليـه الإمام مالك والإمـام الشافعي والإمام أحمـد وغيرهـم من الأئمة".
وأما المتأخرون منهم فهم يثبتون العلم وينازعون في مرتبـة الخلق والمشيئة، ومن أشهر فرقهم المعتزلة. وأول ماظهر الكلام في القدر في زمـن الصحابة الذين ماتوا متـأخرين كابن عمر الذي أنكر ذلك وتبرأ ممن قال به، وأول مـن تكلم بالقدر رجل نصـراني اسمـه سوسن أسلم ثم ارتد ثم أخذهـا منـه معبـد الجهني ونشـرها بالبصـرة، قال الأوزاعي رحمه الله تعالى: "أول من نطـق بالقدر رجل من أهل العـراق يقـال له سوسن وكان نصـرانياً فـأسلم ثم تنصر فـأخذ عنـه معبد الجهنى وأخذ غيلان عن معبد.
والقـدرية: هـم مجوس هـذه الأمـة كمـا أطلق عليهم السلـف، وقـد وردت آثار بتسميـة القـدرية مجوس هـذه الأمـة، وبعـض هـذه الآثار مـرفوع إلى النبي ﷺ.
ومنها ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٢٥/٢) وأبو داود في سننـــه: كتـــاب السنة، باب القدر (٦٦/٥) وابن ماجه في سننه: المقدمة (٣٥/١) وابن أبي عاصم في السنة (١٤٤/١-١٤٥). وجميع هذه الروايات ضعفها أئمة الحديث ولكن يعضد بعضهـا بعضا. ووجه تسمية القـدرية بمجوس هذه الأمة أنهـم حين قالوا بأن الله تعالى لم يخلق الشر ولم يقدره اضطروا إلى القول بأن الإنسان هو خالق أفعالـــه كمـا تزعم المعتزلة فهم بهذا أشبهـوا المجوس بقولهم أن اللـه إله الخير والنور، والشر والظلمه لها خالق آخر غيره بزعمهم تعالى الله عمايقول الظلمون علـــواً كبيراً. الشـريعة (٢٤٣) والفـرق بين الفـرق (١١٤) و البرهـان مـن عقـائد أهـل الأديان للسكسكى (٥٠) ومجموع الفتاوى (٢٥٨/٨، ٤٣٠) وفتح البارى (١١٩/١) ولوامع الأنوار البهية (٣٠١/١-٣٠٦).

(١) المجـوس: هـم قـوم يعبدون النـار لأنهـم يعتقدون أنها أعظـم شـيء في الـدنيا، ويقـولون بأصلين أحدهما النـور والآخر الظلمة والنور أزكـى، والظلمـة محدثة ويقـولون: إن الله لم يرسل إلا رسـولاً واحداً لا ندري مـن هـو ويقول بإثبات هذين الاصلين النور والظلمة، وهم يستحلون نكاح المحرمات، وقد نشأوا في من بلاد فارس وما حولها.
اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (١٣٤) والملل والنحل (٢٣٣/١) والبرهان في عقائد أهل الأديان للسكسكى (٩٠).

هؤلاء[١] المحتجون بالقدر أنجس منهم لأنهم أشبهوا المشركين المكذبين للرسل الذين قالوا لوشاء الله ما أشركنا.

وأيضا فقد قال ابن تيمية: "إنه كان في أواخر عصر الصحابة جماعة من هؤلاء القدرية، وأما المحتجون بالقدر فلايعرف لهم طائفة من طوائف المسلمين معروفة وإنما كثروا في المتأخرين وسموا هذا حقيقة وجعلوا الحقيقة تعارض الشريعة ولم يميزوا بين الحقيقة الشرعية التي تتضمن تحقيق أحوال القلوب كالإخلاص والصبر وبين الحقيقة الكونية القدرية التي تؤمن بها ولاتحتج بها على المعاصي، وفيهم من يقول إن العارف لو أفنى في شهود توحيد الربوبية لم يستحسن حسنه ولم يستقبح سيئة، ويقول بعضهم: من شهد الإرادة سقط عنه الأمر والنهي، ويقول بعضهم: إن الخضر عليه السلام إنما سقط عنه التكليف لأنه شهد الإرادة".[٢]

إلى غير ذلك من كلامهم القبيح، وبالجملة فالبارى سبحانه قد أرسل الرسل قاطبة بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، والمحتجون بالقدر على فعل المعاصي انعكس الأمر في حقهم فصاروا يتبعون المفاسد ويعطلون المصالح، فهم شر الناس، ولابد لهم مع ذلك من أمور يجتلبونها وأمور يجتنبونها وأن يتدافعوا جميعا إلى ما يضرهم من الظلم، فلو ظلم بعضهم بعضا في دمه وماله وعرضه وطلب المظلوم عقوبة -الظالم لم يقبل أحد من ذوي العقول احتجاجه بالقدر، ولو قال اعذروني فإن هذا

---

(١) يقصد بهم غلاة الصوفية الذين يقولون: من شهد الارادة سقط عنه الامر والنهي. وقد سبق الاشارة إليهم في آخر (ص٨٤).

(٢) منهاج السنة النبوية (٣/٧٦-٧٧).

مقدر علي لقالوا له: أنت لوفعل بك هذا ماالحتج عليك ظالمك بالقدر لم يقبل منه، لأنه لايمكن صلاح الخلق ولابقاؤهم في الدنيا إذا مكنوا كل أحد أن يفعل ما يشاء من مفاسدهم ويحتج بالقدر، لأن قبول هذه الحجة من المفسد يوجب الفساد الذي لاصلاح معه، وإذا كان الاحتجاج بالقدر مردودا في فطر جميع الناس وعقولهم فلايحتج به إلا متبع لهواه فاسق، وإن استحل ذلك فهو زنديق ملحد[1] مارق[2]، نسأل الله تعالى العافية والسلامة في الدين آمين.

قلت: ومن هنا يعلم جواب ما كنت أوردته في كتابي "البرهان في تفسير القرآن"[3] من أنه مشكل علينا الجواب لإبليس لو قال: إن خالق الأشياء، خلقني كما شاء، وأوجدني لما شاء، واستعملني فيما شاء، وقدر علي ماشاء فلم أطق إن أشاء إلا ماشاء، فما تجاوزت ماشاء، ولا فعلت غير ماشاء،

---

(١) ملحد جمعه ملاحدة، والإلحاد: الميل عن القصد قال ابن السكيت: الملحد العادل عن الحق المدخل فيه ماليس فيه، ويقال قد ألحد في الدين ولحد أي: حاد عنه، والإلحاد مذهب من ينكر وجود الله، وقد يطلق على المتشكك الذى يتظاهر بالاقتناع دون عقيدة، ومنه الملحد في الحرم الذي ينتهك حرمة الحرم بفعل المعاصى وارتكاب الكبائر أو بإيذاء الناس وانتهاك حرماتهم أو بفعل ماخص الله الحرم بالنهي عنه فيه من تحريم قتل الصيد وعضد الشجر به ونحو ذلك، وقد جاء في الحديث: "أبغض الناس إلى الله ثلاثة: وذكر منهم ملحد في الحرم" أخرجه البخاري مع الفتح (٢١٠/١٢). وانظر لسان العرب (٣٨٨/٣، ٣٨٩).

(٢) المارق: هو الخارج من الدين، والمروق: الخروج من شيء من غير مدخله، والمارقة: الذين خرجوا من الدين لغلوهم فيه، والمروق: سرعة الخروج من الشيء، يقال مرق الرجل من دينه، ومرق من بيته، ومنه سمي الخوارج بالمارقين لأنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية كما جاء في الحديث والمعنى يتعدونه ويتجاوزونه كما يخرق السهم المرمي به ويخرج منه. انظر لسان العرب (٣٤١/١٠)، فتح الباري (٣٠٢/١٢).

(٣) ولم يتمه انظر رقم (١٢) من مصنفات المؤلف المخطوطة التي سبقت.

ولو شاء لردني إلى ماشاء، وهداني لما شاء أن أكون كما شاء، ﴿**ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا**﴾[(١)]، ياهذا سبق لي قبل كون الأكوان وكان من الكافرين فما برحت في الأزل كافراً ولم أزل، فإذا كانت كاف كفري سبقت كوني، فمن يكون على القضاء عوني؟، ومن يطيق من القدر صوني؟، وما حيلة من ناصيته في قبضة من قهر؟، وقلبه بيد القدر، وأمره راجع إلى القدم، وقد قضي الأمر وجف القلم.

ويعلم أيضاً الجواب لكافر قال يارب إنك علمت مني الكفر، وأنا لاأقدر على أن أقلب علمك جهلاً، وإنك أخبرت عن وجود هذا الكفر فيّ، وأنا لا أقدر على أن أجعل خبرك الصدق كذباً، وإنك خلقت فيّ الكفر، وأنا لاأقدر على إزالة فعلك.

فهذه كلها احتجاجات واهية باطلة وإن كانت بحسب الظاهر هائلة لما تقدم تقريره، فمن المستقر في فطر الناس وعقولهم أنه من طُلب منه فعل من الأفعال الاختيارية لم يكن له أن يحتج بمثل هذا، ومن طَلب دْيناً له على آخر لم يكن له أن يقول لاأعطيك حتى يخلق الله فيّ الإعطاء أو يقدّره لي، ومن أمر عبده بأمر لم يكن له أن يقول لا أفعله حتى يخلق الله فيّ فعله أو القدرة على ذلك، وهذا أمر جُبل عليه الناس مسلمهم وكافرهم، مقرهم بالقدر ومنكرهم، ولا يخطر ببال أحد منهم الاعتراض بمثل هذا ولا الاحتجاج به، وكذلك المحتاج للطعام والشراب واللباس فإنه لا يقول لا آكل ولا أشرب ولا ألبس حتى يخلق الله فيّ ذلك أو يقدره لي، بل يجتهد في مباشرة ذلك والله تعالى هو الذي يعينه عليه فتأمل ولا تغتر بزخارف الكلام وإلا لارتفع الاختيار وثبت القول بالجبر المنابذ لما جاءت به الشرائع، وما أحد في الخلق يعدو علم الله السابق فيه، وليس في علم الله الأمور قبل وقوعها إجبار كما توهمه كثير من الناس، والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة يونس: آية (٩٩).

«الجواب الرابع»

وأما الجواب عن الرابع: وهو أنه حيث لايقبل الاحتجاج بالقدر وأنه لا يكون إلا مايريده الله، فإنه يلزم أن الله تعالى يكلف العبد ما لايطيق ثم يعاقبه عليه وهو ظلم مع أن الله تعالى هو الخالق لذلك إلى آخره.

فنقول: هذه مسألة يكثر فيها الخوض، ويتحير فيها العقل، ويتخبط فيها الفهم، وتحتاج إلى كلام كثير.

وقد أختلفت أقوال الطوائف في مثل هذا:

فمذهب أهل الحق[1] أن الرب سبحانه منفرد بخلق المخلوقات ولا خالق سواه ولا مبدع غيره وكل حادث فإنه محدثه.

---

(١) أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، والحق سبحانه وتعالى مُنْفردٌ بخلق المخلوقات، لاخالق لها سواه، والجبرية غلوا في إثبات القدرة فنفوا صنع العبد وفعله أصلاً، والقدرية نفاة القدر جعلوا العباد خالِقِين مع الله تعالى، ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة، بل أردأ من المجوس، من حيث إن المجوس أثبتت خالِقَين، وهم أثبتوا خالِقِين.
وهدى الله المؤمنين أهل السنة لمااختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم. فكل دليل صحيح يقيمه الجبري، فإنما يدل على أن الله خالق كل شيء، وأنه على كل شيء قدير، وأن أفعال العباد من جملة مخلوقاته، وأنه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولايدل على أن العبد ليس بفاعل في الحقيقة ولامريد ولامختار، وأن حركاته الاختيارية بمنزلة حركة المرتعش، وهبوب الرياح، وحركات الأشجار.
وكل دليل صحيح يقيمه القدري، فإنما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقة، وأنه مريد له مختار له حقيقة، وأن إضافته ونسبته إليه إضافة حق، ولا يدل على أنه غير مقدور لله تعالى، وأنه واقع بغير مشيئته وقدرته.
فإذا ضممت مامع كل طائفة منهما من الحق إلى حق الأخرى، فإنما يدل ذلك على مادل عليه القرآن وسائر كتب الله المنزلة، من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع مافي الكون من الأعيان والأفعال، وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة، وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم. فقول أهل السنة وسط بين قول الجبرية وقول القدرية. انظر شرح العقيدة الطحاوية (٢/٦٤٠، ٦٤١).

وقالت المعتزلة:[١] "إن جميع أفعال العباد من حركاتهم وسكناتهم وأقوالهم وأعمالهم لم يخلقها الله، ثم اختلفوا فقالت طائفة: خلقها الذين فعلوها دون الله، وقال آخرون: ليست مخلوقة ولكنها أفعال موجودة لاخالق لها، وقال آخرون: هي فعل الطبيعة، وقال الذين زعموا أن العباد خلقوها: إن وقوع الأفعال من العبد على وفق قصده وداعيته إقداما وإحجاما دليل على أنه موجدها ومخترعها، قالوا: ولولا ذلك لكانت التكاليف كلها واقعة على خلاف الاستطاعة[٢] وتكليفاً بالمحال، وكان لايحسن مدح ولاذم ولاثواب ولاعقاب وهو خلاف مقتضى العقل والشرع والعرف".

ونقل عن الإمامية[٣] هل أفعال العباد خلق لهم أو خلق لله؟ على قولين[٤]، ونقل الأشعري[٥]

---

(١) انظر قول المعتزلة في الفرق بين الفرق (١١٤-١١٦) والملل والنحل (٤٥/١) ومقالات الإسلاميين (٢٩٨/١).

(٢) الاستطاعة: عرض يخلقه الله في الحيوان يفعل الله به الأفعال الاختيارية، والاستطاعة والقدرة والوسع والطاقة متقاربة في اللغة وهي في عرف المتكلمين: عبارة عن صفة بها يتمكن الحيوان من الفعل والترك. التعريفات (١٩).

(٣) الإمامية: هم القائلون بأن الإمامة ثابتة لعلي رضي الله عنه بالنص بعد النبي ﷺ وكذلك يقولون نص علي رضي الله عنه على الإمامة من بعده للحسن والحسن نص على الحسين وهكذا كل إمام ينص على من بعده، وهم القائلون باتباع الاثنى عشر إماماً، وقد افترقوا إلى فرق كثيرة، وهم يعتقدون أن محمد بن الحسين العسكري اختفى في سرداب في بيت أبيه وبه يبدأ عهد الأئمة المستورين.
مقالات الإسلاميين (٨٩/١) والملل والنحل للشهرستاني (١٦٢/١) والتعريفات للجرجاني ص(٣٧).

(٤) انظر مقالات الإسلاميين (١١٤/١،١١٥).

(٥) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، وإليه ينسب مذهب ==

عن الزيدية[١] أنهم فرقتان:[٢] فرقة تزعم أن أفعال العباد مخلوقة لله خلقها وأبدعها، وفرقة تزعم أنها [غير][٣] مخلوقة لله، وأنها كسب للعباد أحدثوها واخترعوها وفعلوها، ومذهب الجمهور أن جميع أنواع الطاعات والمعاصي والكفر والفسوق واقعة بقضاء الله وقدره ثم اختلفوا فقالت طائفة: إن العبد لاقدرة له البتة وهم الجبرية[٤]، ومنهم من بالغ فزعم أن حركة العبد

(=) الأشاعرة علماً أنه تاب عن هذا المذهب ورجع عنه ولكنهم يخالفونه، ومن الكتب التي تبين ذلك "كتاب الإبانة"، توفي سنة ٣٢٤هـ وقيل بعد ذلك.
تاريخ بغداد (١/١٥٤) والعبر (٢/٢٣) وطبقات الشافعية (٣/٣٤٧) وشذرات الذهب (٢/٣٠٣).

(١) الزيدية: فرقة من الشيعة وهم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وسموا بالزيدية نسبةإليه، وهم ثلاث فرق: الجارودية، والسليمانية، والبترية، وهذه الفرق الثلاثة يجمعها القول بإمامة زيد في أيام خروجه وذلك في زمن هشام بن عبدالملك. والزيدية يوافقون المعتزلة في العقيدة، ومنهم من يوافق أهل السنة والجماعة في بعض أقوالهم.
انظر: مقالات الإسلاميين (١/١٣٦-١٥٠) والفصل في الملل والنحل (٤/١٥٧) والفرق بين الفرق (٢٢) والملل والنحل (١/١٥٤-١٦٢) ومنهاج السنة النبوية (٣/١٢).

(٢) انظر مقالات الإسلاميين (١/١٤٨).

(٣) مابين القوسين زيادة من مقالات الإسلاميين (١/١٤٨) والسياق يقتضيها، وهي غير موجودة في النسخة الخطية، وانظر منهاج السنة (٣/٨،٩).

(٤) الجبرية: سموا بذلك نسبة إلى الجبر وهو نفي الفعل عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى، فهم يقولون إن العبد مجبور على فعله فهو كالريشة في مهب الرياح وكحركات المرتعش ليس له إرادة ولا قدرة على الفعل، وممن قال بهذا الجهم ابن صفوان، وهم أصناف فمنهم الجبرية الخاصة وهم الذين يقولون بقول جهم، ومنهم من يثبت للعبد قدرة غير مؤثرة.
انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٦٨) ومقالات الإسلاميين (١/٣٣٨) والملل والنحل (١/٨٥) والبرهان في عقائد أهل الاديان (٤٢-٤٣).

بمنزلة حركة الأشجار مع الرياح[١]، وقالت طائفة: العبد غير مجبور على أفعاله بل هو قادر عليها مكتسب لها، ومعنى كونه مكتسباً أنه قادر على فعله وإن كانت قدرته لاتأثير لها في ذلك.[٢]

قال ابن تيمية: وهذا قول بعض المثبتة للقدر كالأشعري ومن وافقه من الفقهاء من أصحاب مالك[٣] والشافعي[٤]

---

(١) انظر قول الجبرية في مقالات الإسلاميين (٣٣٨/١) والفرق بين الفرق (٢١١).

(٢) وهذا هو قول الأشاعرة وهو قول غير واضح، فهم وإن وافقوا السلف في قولهم إن الله خالق لأفعال العباد وأنها تابعة لمشيئته سبحانه فقد خالفوهم في قولهم أن قدرة العبد لاتأثير لها في فعله وأن الله سبحانه وتعالى جرت عادته أن يوجد في العبد قدرة واختيارا، فيكون الفعل مخلوقاً لله إبداعاً وإحداثا ومكسوباً للعبد، وقد اختلفوا في تعريف الكسب، والكسب هذا هو الذى قيل فيه: ثلاثة أشياء لاحقيقة لها: كسب الاشعري، وطفرةالنظام، وأحوال أبى هاشم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن قولهم بالكسب: "ثم اثبتوا كسباً لاحقيقة له، فإنه لايعقل من حيث تعلق القدرة بالمقدور فرق بين الكسب والفعل، ولهذا صار الناس يسخرون بمن قال هذا ويقولون: ثلاثة أشياء لاحقيقة لها: طفرة النظام، وأحوال أبى هاشم وكسب الأشعرى". مجموع فتاوى ابن تيمية (١٢٨/٨).

وانظر شرح المواقف للجرجانى (٢٣٧) وغاية المرام للآمدي (٢٠٧) والملل والنحل (٩٦/١) والارشاد للجوينى (١٨٩).

ولاشك أن قول السلف أهل السنة والجماعة هو القول الحق الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة ولله الحمد والمنة.

(٣) الإمام أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصحي المدني إمام دار الهجرة أجمع العلماء على إمامته وجلالته، وهو إمام المذهب المالكي أحد المذاهب الأربعة المشهورة وهو من تابعي التابعين، ولد سنة ٩٣هـ.

قال الشافعي رحمه الله: إذا ذكر العلماء فمالك النجم، من تصانيفه "الموطأ"، توفي سنة ١٧٩هـ بالمدينة رحمه الله. التاريخ الكبير (٣١٠/٧) والعبر (٢١١،٢١٠/١) وتهذيب التهذيب (٥/١٠) وشذرات الذهب (٢٨٩/١).

(٤) الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس الشافعي المطلبي القرشي، ==

وأحمد[١] حيث لا يثبتون في المخلوقات قوى ولاطبائع، ويقولون: إن الله فعل عندها لا بها، ويقولون: إن قدرة العبد لاتأثير لها في الفعل، ويقول الأشعري: إن الله فاعل فعل العبد وإن عمل العبد ليس فعلاً للعبد بل كسباً له.[٢]

قال:[٣] "وهذا قول من ينكر الأسباب والقوى التي في الأجسام وينكر تأثير القدرة التي للعبد التي يكون بها الفعل، ويقول إنه لا أثر لقدرة العبد أصلا في فعله، إلا أن الأشعري يثبت للعبد قدرة محدثة واختيارا، ويقول إن الفعل كسب للعبد[٤]، لكنه يقول لاتأثير لقدرة العبد في إيجاد المقدور وهو مقام دقيق، حتى قال بعضهم: إن هذا الكسب الذي

(=) اتفق العلماء على ثقته وأمانته وعدالته وزهده وورعه، وهو إمام المذهب الشافعي أحد المذاهب الأربعة المشهورة، ولد سنة ١٥٠هـ، قال الإمام أحمد: ما أحد ممن بيده محبرة أو ورقة إلا للشافعي في رقبته منه"، له عدة مصنفات منها: الأم، المسند، الرسالة، أحكام القرآن، توفي سنة ٢٠٤هـ بمصر رحمه الله.
تاريخ بغداد (٥٦/٢) وتذكرة الحفاظ (٣٦٤/١) والنجوم الزاهرة (١٧٦/٢) وشذرات الذهب (٩/٣).

(١) إمام أهل السنة أبو عبدالله أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني، أحد الأئمة الأربعة وإمام المذهب الحنبلي، أجمعت الأمة على جلالته وعدالته وزهده وحفظه وإمامته، قال الذهبي: "كان إماماً في الحديث وضروبه، إماماً في الفقه ودقائقه، إماماً في السنة وطرائقها، إماماً في الورع وغوامضه، إماماً في الزهد وحقائقه رحمة الله عليه". من مصنفاته المسند، فضائل الصحابة، الزهد، توفي سنة ٢٤١هـ ببغداد رحمه الله. التاريخ الكبير (٥/٢) وتاريخ بغداد (٤١٢/٤)، وطبقات الحنابلة (٣٤٢/١)، وسير اعلام النبلاء (١٧٧/١١) والمنهج الأحمد (٥١/١).

(٢) منهاج السنة النبوية (١٣/٣) وانظر قول الأشعري في مقالات الإسلاميين (٢٨٥/١).

(٣) القائل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

(٤) انظر قول الأشعري في اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع (٧٢-٧٤).

أثبته الأشعري غير معقول ويلزم أن لايكون فرق بين القادر والعاجز وإن أثبت قدرة وقال إنها مقترنة بالكسب، قيل له: لم تثبت فرقا معقولا بين ماأثبته من الكسب ونفيته من الفعل ولا بين القادر والعاجز إذ مجرد الاقتران لااختصاص له بالقدرة فإن قدرة العبد تقارن حياته وعلمه وإرادته وغير ذلك من صفاته، فإذا لم يكن للقدرة تأثير إلا مجرد الاقتران فلا فرق بين القدرة وغيرها، ومن هذه الطائفة من يقول إن قدرة العبد مؤثرة في صفة الفعل لا في أصله، كما يقول القاضي أبو بكر[١] ومن وافقه، فإنه إن أثبت تأثيرا بدون خلق الرب لزم أن يكون بعض الحوادث لم يخلقه الله، وإن جعل ذلك معلقا بخلق الرب فلا فرق بين الأصل والصفة".[٢]

قيل: ومذهب الأشعري في هذه المسألة من مذهب الجبرية الجهمية فإنه يحكي عن الجهم[٣] بن صفوان وغلاة أتباعه أنهم سلبوا العبد قدرته واختياره، حتى قال بعضهم: إن حركته كحركة الأشجار بالرياح.[٤]

قال ابن تيمية: "إن الجهم كان يقول لاأثر لقدرة أصلاً في فعله،

---

(١) هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر الباقلاني البصري القاضي، أحد المتكلمين، كان على مذهب الأشعري، سكن بغداد، وله مصنفات كثيرة منها "التمهيد" توفي سنة ٤٠٣هـ. تاريخ بغداد (٣٧٩/٥)، والعبر (٢٠٧/٢) والنجوم الزاهرة (٢٣٤/٤) والبداية والنهاية (٣٧٣/١١).

(٢) منهاج السنة النبوية (١١٢/٣-١١٣).

(٣) الجهم بن صفوان السمرقندي أبو محرز، رأس الجهمية وإليه ينتسبون لأنه أول من نشر المذهب، قال الذهبي: الضال المبتدع، رأس الجهمية، هلك في زمان أصغر التابعين، وما علمته روى شيئاً، ولكنه زرع شراً عظيماً قتله سلم بن أحوز سنة ١٢٨هـ. ميزان الاعتدال (٤٢٦/١) والكامل لابن الأثير (٣٤٣/٥) ولسان الميزان (١٤٢/٢).

(٤) انظر الفصل لابن حزم (٣٣/٣) وأصول الدين للبغدادي (ص١٣٤).

وكان يثبت مشيئة الله، وينكر أن يكون له حكمة ورحمة، وينكر أن يكون للعبد فعل أو قدرة مؤثرة، قال: وحكي عنه أنه كان يخرج إلى الجَذْمَى(١) ويقول: أرحم الراحمين يفعل هذا -إنكاراً لأن تكون له رحمة يتصف بها سبحانه- زعما منه أنه ليس إلا مشيئة محضة لا اختصاص لها بحكمة بل يرجح أحد المتماثلين بلا مرجح".(٢)

قال ابن تيمية: "وجمهور أهل السنة المثبته للقدر من جميع الطوائف يقولون: إن العبد فاعل لفعله حقيقة وإن له قدرة حقيقة واستطاعة حقيقة ولا ينكرون تأثير الأسباب الطبيعية بل يقرون بما دل عليه الشرع والعقل من أن الله يخلق السحاب بالرياح، وينزل الماء بالسحاب، وينبت النبات بالماء، ولا يقولون: إن القوى والطبائع الموجودة في المخلوقات لا تأثير لها بل يقرون بأن لها أثراً لفظا ومعنى، لكن يقولون: هذا التأثير هو تأثير الأسباب في مسبباتها، والله تعالى خالق السبب والمسبب، ومع أنه خالق السبب فلابد للسبب من سبب آخر يشاركه، ولابد من معارض يمانعه فلا يتم أثره إلا مع خلق الله له بأن يخلق الله السبب الآخر ويزيل الموانع".(٣)

فالمسببات حينئذ يجب وجودها عند وجود أسبابها بمعنى أن الله تعالى يحدثها حينئذ ويشاء وجودها.

وقال في موضع آخر: "الأعمال والأقوال والطاعات والمعاصي هي

---

(١) الجَذْمَى: على وزن فَعْلَى جمع أجذم، والأجذم: هو مقطوع اليد، وقيل: هو الذي ذهبت أنامله، يقال رجل أجذم ومجذوم ومُجَذَّم اذا تهافتت أطرافه من داء الجذام، والجذام داء يصيب الانسان، وهو أنواع. لسان العرب (١٢/٨٦-٨٨).

(٢) منهاج السنة النبوية (٣/٣١-٣٢).

(٣) المصدر السابق (٣/١٢-١٣).

من العبد، بمعنى إنها قائمة به وحاصلة بمشيئته وقدرته وهو المتصف بها والمتحرك بها الذي يعود حكمها عليه، وهي من الله تعالى بمعنى أنه خلقها قائمةً بالعبد وجعلها عملا له وكسبا كما يخلق المسببات بأسبابها فهي من الله مخلوقة له، ومن العبد صفة قائمة به واقعة بقدرته وكسبه، كما إذا قلنا هذه الثمرة من الشجرة وهذا الزرع من الأرض بمعنى أنه حدث منها ومن الله بمعنى أنه خلقه منها لم يكن بينهما تناقض".[١]

قال: "فالحوادث تضاف إلى خالقها باعتبار، وإلى أسبابها باعتبار"[٢] كماقال تعالى: ﴿**هذا من عمل الشّيطان**﴾[٣]، وقال: ﴿**ومأأنسانيه إلاالشّيطان**﴾[٤] مع قوله: ﴿**قل كل من عند الله**﴾[٥] وأخبر تعالى أن العباد يفعلون ويصنعون ويعملون ويؤمنون ويكفرون ويفسقون ويتقون ويصدقون ويكذبون.

وقال في موضع[٦] آخر: "إن أئمة أهل السنة يقولون إن الله خالق أفعال العباد كما أن اللّه خالق كل شيء وإنه تعالى خالق الأشياء بالأسباب، وإنه خلق للعبد قدرة بها يكون فعله، وإن العبد فاعل لفعله حقيقة، فقولهم في خلق فعل العبد بإرادته وقدرته كقولهم في خلق سائر الحوادث بأسبابها".[٧]

---

(١) منهاج السنة النبوية (١٤٥/٣-١٤٦).
(٢) المصدر السابق (١٤٦/٣).
(٣) سورة القصص: آية (١٥).
(٤) سورة الكهف: آية (٦٣).
(٥) سورة النساء: آية (٧٨).
(٦) القائل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.
(٧) منهاج السنة النبوية (٣١/٣).

وقد دلت الدلائل اليقينية على أن كلّ حادث فالله خالقه وفعل العبد من جملة الحوادث، وكل ممكـن يقبل الوجود والعدم، فإن شاء الله كان وإن لم يشاء لم يكن، وفعل العبد في جملة الممكنات.

قال: "وجمهور المسلمين وجمهور طوائفهم على هذا القول الوسط الذي ليس هو قول المعتزلة ولا قول جهم بن صفوان وأتباعه الجبرية، فمن قال إن شيئاً من الحوادث أفعال الملائكة والجن والإنس لم يخلقها الله فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع السلف والأدلة العقلية، ولهذا قال بعض السلف من قال: إن كلام الآدميين وأفعال العباد غير مخلوقة فهو بمنزلة من يقول: إن سماء الله وأرضه غير مخلوقة".(١)

وبالجملة فيقول [محققوا](٢) أهل السنة: إن الله تعالى خلق قدرة العبد إرادته وفعله، ويقولون: إن العبد فاعل لفعله حقيقة ومحدث لفعله والله سبحانه جعله فاعلا له محدثا له قال تعالى: ﴿**وما تشاءون إلا أن يشاء الله**﴾(٣) أثبت تعالى بذلك مشيئة العبد وأخبر أنها لا تكون إلا بمشيئة الرب، وهذا صريح قول أهل السنة في إثبات مشيئة العبد وأنها لا تكون إلا بمشيئة الرب.

قال ابن تيمية: "وهذا قول جماهير أهل السنة من جميع الطوائف، وهو قول كثير من أصحاب الأشعري كأبي إسحاق الإسفرائيني(٤)

(١) منهاج السنة النبوية (٣/٣٣).
(٢) مابين القوسين في المخطوط [محققي] والصواب ماأثبت.
(٣) سورة الإنسان: آية (٣٠).
(٤) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن مهران الإسفرائيني، عالم الفقه والأصول، شافعي، منتظم، له عدة مصنفات منها "الرد على الملحدين" "جامع الحلى في أصول الدين" ==
توفي سنة ٤١٨هـ بنيسابور.

وإمـام الحرمين[١] وغيرهمـا، فيقولون: العبـد فاعل لفعله حقيقـة ولـه قدرة واختيـار، وقدرته مؤثرة في مقـدورها كما تؤثر القوى والطبـائع والأسباب كما دل على ذلك الشرع والعقل،قـال تعالى: ﴿**فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات**﴾[٢]، وقال: ﴿**فأحيا به الأرض بعد موتها**﴾[٣] وقال: ﴿**ويهدي به كثيرا**﴾[٤]، ومثـل هـذا كثير في الكتـاب والسنـة، يخبر تعـالى أنه يحدث الحوادث بالأسباب، وكذلك دل الكتاب والسنة على إثبـات القوى والطبائع للحيـوان وغيره، كما قال تعالـى: ﴿**فاتقوا الله ماستطعتم**﴾[٥]، وقال: ﴿**هو أشد منهم قوة**﴾[٦] فهـؤلاء يثبتـون للعبـد قـدرة، ويقـولون إن تأثيرهـا في مقدورها كتأثير سائر الأسباب في مسبباتها"[٧] على ماتقدم قريباً.

وأمـا الفـرق بين الأفعـال الاختيـارية الـواقعـة عـن قصـد والأفعـال الاضطرارية كحركة النبض والمرتعش والواقع من شاهق فهو أمر اضطراري

(=) وفيات الأعيان (٢٨/١) والعبر (٢٣٤/١) وطبقات الشافعيـة للسكسكي (٢٥٦/٤) والنجـوم الـزاهرة (٢٦٧/٤) والبـداية والنهـاية (٢٤/١٢) وشـذرات الـذهب (٢٠٩/٣).

(١) عبـدالملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني إمام الحرمين أبو المعـالي، أحد الأعلام، شافعي المذهب، له مؤلفات كثيرة منها "الإرشـاد في أصول الدين"، كان مـن أئمة الأشـاعرة ولكنـه رجع إلى مـذهب السلـف في آخر حيـاته، توفي سنـة ٤٧٨هـ. تبيين كـذب المفتري (٢٧٨) والعبر (٣٣٩/٢) ووفيـات الأعيـان (٣٤١/٢) وشذرات الذهب (٣٥٨/٣).

(٢) سورة الأعراف: آية (٥٧).

(٣) سورة البقرة: آية (١٦٤).

(٤) سورة البقرة: آية (٢٦).

(٥) سورة التغابن: آية (١٦).

(٦) سورة فصلت: آية (١٥).

(٧) منهـاج السنة النبوية (٧٥/٣، ١١٠-١١٥) مـع الاختصار مـن المؤلـف رحمه الله.

لاينـازع فيه أحد من أئمة المسلمين الـذين لهم لسان صـدق في الـدين، هذا وقد صار الإمام[١] في آخر عمره إلى أن القدرة الحادثة تؤثر في أصل إيجاد الفعل كما ذهبت إليه المعتزلة، إلا أنه قال: إن العبد إنما يوقع مايوقعه على أقدار قدرها الله تعالى كما ذهب إليه ابن تيمية.

قال الإمام: وهذا المذهب هو الجامع لمحاسن المذاهب، فإن القدرة إذا لم تؤثر مـن وجه ألبتـة لم يحسـن التكليـف ولا تخصيـص فعـل مـا بثـواب ولاعقاب كما ألزمته المعتزلة للاشعري، ومن قال إن العبد لايوقع إلا ماقدر الله له وما شاء أن يوقعه لم يلزمه ما لزم المعتزلة مـن مخالفة الإجماع وهو ما شاء الله كان وما لم يشـأ لم يكن، ولا المحذور اللازم مـن تقدير إلهين.

قال ابن التلمساني:[٢] وماذكره لا ينجيه من الجبر، فإن العبد إذا كان لا يوقـع إلا ماخصصه الله لـه وقدر إيقاعه فعند ذلـك لا يتـأتى منه الفعل بدون ذلك وإذا أراد الله ذلك فلا يتأتى منه الترك ألبتة فالجبر لازم.

وقـال شيخ الإسلام ابن تيميـة: "فإن قيل: حيث قلتم إن فعـل العبـد كلـه مخلوق لله وإنه إذا جعلـه الله فاعلا وجب وجود ذلـك وخلق الفعل يستلزم وجوده فيقتضي ذلك الجبر وهو باطل".

---

(١) لعل المقصود به إمام الحرمين الجويني فإنه قد رجع في العقيـدة النظامية عما قرره في كتـاب الارشاد وغيره في هذه المسألة. انظر العقيدة النظـامية (٤٧-٤٨)، قال ابن القيم رحمـه الله في شفـاء العليل (٢٦١-٢٦٨): "قلـت الـذى قاله الإمام في النظامية أقرب إلى الحق مما قاله الأشعرى وابن الباقلانى ومن تابعهما"، ثم نقل كلامـه من العقيدة النظامية وقـال: وهذا توسط حسن بين الفـريقين، وقـد أنكره عليه عامة أصحابه.

(٢) أبو محمد عبـدالله بن محمـد بن علي الفهـري المصـري، الشـافعي المعروف بابن التلمسـاني شرف الدين فقيه، أصولي، تصدر للإقراء بالقاهرة، من تصانيفه شرح المعالم في أصول الفقه لفخرالدين الرازي، والمجموع في الفقه. توفي بالقاهرة سنة ٦٤٤هـ. حسـن المحاضرة للسيـوطي (٢٣٣/١) وكشف الظنـون (٤٩١/١) ومعجم المؤلفين (١٣٣/٦).

قال: والجواب أن لفظ الجبر لم يرد في كتاب ولا سنة، فإن المشهور من معناه في اللغة أن إطلاق الجبر والإجبار إنما يكون على مايفعله المجبور مع كراهته، كما يجبر الأب ابنته على النكاح، وهذا المعنى منتف في حق الله تعالى فإنه سبحانه لايخلق فعل العبد الاختياري بدون اختياره بل هو الذي جعله مختارا مريدا وهذا لايقدر عليه إلا الله، ولهذا قال: من قال من السلف: الله أعظم وأجل من أن يجبر، إنما يجبر غيره من لايقدر على جعله مختاراً، والله تعالى يجعل العبد مختارا فلا يحتاج إلى إجباره، ولهذا قال الإمام الأوزاعي(١) وغيره:(٢) نقول جبل ولا نقول جبر، والمنصوص عن أئمة الإسلام مثل الأوزاعي والثوري(٣)

---

(١) أبو عمرو عبدالرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي الدمشقي، عالم أهل زمانه، كان صاحب سنة واتباع، وله مذهب مستقل في الفقه، عمل به فقهاء الشام والاندلس مدة، وقد عرف بالزهد والخشوع والورع، توفي سنة ١٥٧هـ.
التاريخ الكبير (٥/٣٢٦) والعبر (١/١٧٤) والبداية والنهاية (١٠/١١٥) وسير أعلام النبلاء (٧/١٠٧).

(٢) أخرج الخلال في السنة (٥٥٥) بسنده عن بقية بن الوليد رحمه الله قال: سألت الزبيدي والأوزاعي عن الجبر؟ فقال الزبيدي: أمر الله أعظم، وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل، ولكن يقضي ويقدر ويخلق ويجبل عبده على ماأحبه، وقال الأوزاعي: ماأعرف للجبر أصلاً من القرآن والسنة فأهاب أن أقول ذلك، ولكن القضاءوالقدر والخلق والجبل،فهذايعرف في القرآن والحديث عن رسول الله ﷺ "وإنما وضعت هذا مخافة أن يرتاب رجل من الجماعة والتصديق".
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في درء تعارض العقل والنقل (١/٦٩): "وجواب الأوزاعي أقوم من جواب الزبيدى، لأن الزبيدى نفى الجبر، والأوزاعي منع إطلاقه إذ هذا اللفظ قد يحتمل معنى صحيحاً، فنفيه قد يقتضى نفي الحق والباطل".

(٣) أبو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري الكوفي، أمير المؤمنين في الحديث، من أئمة المسلمين، وأعلام الدين مع الإتقان والحفظ والمعرفة ==

وعبدالرحمن بن مهدي[١] وأحمد بن حنبل وغيرهم أن لفظ الجبر لايثبت ولاينفى فلايقال جبر أو لم يجبر، فإن قال السائل: أنا أريد بالجبر معنى أن نفس جعل الله العبد قادرا فاعلا للفعل يستلزم الجبر، قيل له: هذا المعنى حق ولا دليل على إبطاله، وحذاق[٢] المعتزلة كأبي الحسين البصري[٣] وأمثاله يسلمون أن مع وجود الداعي والقدرة يجب وجود الفعل، وسلموا أن الله خلق الداعي والقدرة فلزم أن يكون الله خالق أفعال العباد ولكن لم يقولوا بذلك، وأبو الحسين هذا وإن كان يدعي الغلو في الاعتزال حتى ادعى [أن][٤] العلم بأن العبد يوجد أفعاله أمر ضروري، [فثبت أن أبا الحسين][٥] كان أيضا عظيم الغلو في القول بالجبر، [وإن كان يدعى في ظاهر الأمر أنه عظيم الغلو في الاعتزال].[٦]

(=) والضبط والورع والزهد، من مصنفاته: الجامع الصغير، الجامع الكبير في الفقه، توفي سنة ١٦١هـ بالكوفة. تاريخ بغداد (١٥١/٩) والعبر (١٨١/١) وتهذيب التهذيب (١١١/٤) وشذرات الذهب (٢٥٠/١).

(١) أبو سعيد عبدالرحمن بن مهدي بن حسان بن عبدالرحمن العنبرى البصرى، ثقة ثبت عارف بالرجال والحديث.
قال ابن المديني: اما رأيت أعلم منه، توفي سنة ١٩٨هـ بالبصرة. تاريخ بغداد (١٤٠/١٠) وتذكرة الحفاظ (٣٢٩/١) وتهذيب التهذيب (٢٥٠/٦) وشذرات الذهب (٣٥٥/١).

(٢) حذاق: جمع حاذق من الحذق والحذاقة وهو المهارة في كل عمل. لسان العرب (٤٠/١٠).

(٣) أبوالحسين محمد بن علي بن الطيب البصري، شيخ المعتزلة، وصاحب التصانيف الكلامية له كتاب المعتمد في أصول الفقه، وكان يقرئ الاعتزال ببغداد، وله حلقة كبيرة، مات سنة ٤٣٦هـ. تاريخ بغداد (١٠٠/٣) والعبر (٢٧٣/٢) والنجوم الزاهرة (٣٨/٥) وشذرات الذهب (٢٥٩/٣).

(٤) زيادة من منهاج السنة (٢٥١/٣) والسياق يقتضيها.

(٥) زيادة من منهاج السنة (٢٥١/٣) والسياق يقتضيها.

(٦) زيادة من منهاج السنة (٢٥١/٣) والسياق يقتضيها.

وحيث قلنا إن حقيقة القول أن الله سبحانه هو الخالق لفعل العبد، فإذا قالت القدرية: هذا ينافي كون العبد مختاراً، لأنه لامعنى للمختار إلا معنى كونه قادراً على فعل والترك، وأنه إن شاء فعل هذا وإن شاء فعل هذا، قيل لهم هذا مسلم ولكن هل هو قادر على الفعل والترك على سبيل البدل أو على سبيل الجمع، والثاني باطل فإن الفعل والترك ضدان واجتماعهما ممتنع والقدرة لاتكون على ممتنع، فُعلِم أن قولنا قادر على الفعل والترك أي يقدر أن يفعل في حال عدم الترك ويقدر أن يترك في حال عدم الفعل، فقول القائل: القادر إن شاء فعل وإن شاء ترك هو على سبيل البدل لا أنه يقدر أن يشاء الفعل والترك معاً بل حال مشيئته للفعل لايكون مريداً للترك وحال مشيئته للترك لايكون مريداً للفعل، فحال كونه شاء للفعل مع القدرة التامة يجب وجود الفعل، وحال وجود الفعل يمتنع أن يكون مريداً للترك مع الفعل وأن يكون قادراً على الترك مع الفعل، والتخيير بينهما إنما يكون عند عدمهما جميعاً، فأما حال الفعل فيمتنع الترك وحال الترك يمتنع الفعل، وحينئذ فالفعل واجب حال وجوده لا في الحال التي كان مخيراً فيها بين الفعل والترك، نعم قد يكون الفاعل حال الفعل مريداً للترك بعد الفعل وهذا ترك ثانٍ ليس هو ترك ذلك الفعل في حال وجوده فتأمل، إذا تقرر هذا فاعلم أن مذهب جمهور أهل السنة أن أفعال الإنسان الاختيارية مستندة إليه وأنه فاعل لها، والله خلقه فاعلاً، وأنه مريد مختار، والله جعله مريداً مختاراً، فالماشي مثلاً يمشي حقيقة، والله جعله ماشياً بمنزلة مريض مشى بين اثنين، ولله المثل الأعلى، ويثبتون للعبد قدرة هي مناط الأمر والنهي وإن اختلفوا هل هي مؤثرة في مقدورها أو في بعض مقدورها في بعض صفاته أو لاتأثير لها. والفخر الرازي(١) يثبت

---

(١) فخرالدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي الطبرستاني، الشافعي الرازي ==

هذه القدرة وهو يصرح بأنه يقول بالجبر، والجمهور يقولون: إن لقدرة العبد تأثيراً في فعله من جنس تأثير الأسباب في مسبباتها وليس لها تأثير الخلق والإبداع ولا وجودها كعدمها.(١)

وهذه القدرة قد تكون قبل الفعل ولا يجب أن تكون معه.

ويقولون أيضاً: "إن القدرة التي يكون بها الفعل لابد أن تكون مع الفعل إذ لا يجوز أن يوجد الفعل بقدرة معدومة ولا بإرادة معدومة كما لايوجد بفاعل معدوم، وأما القدرية فيزعمون أن القدرة لاتكون إلا قبل الفعل، ومن قابلهم يقولون لاتكون إلا مع الفعل".(٢)

قال ابن تيمية: "وقول الأئمة والجمهور هو الوسط من أنها لابد أن تكون معه وقد تكون مع ذلك قبله، وتلك القدرة تكون متقدمة على الفعل كما قال تعالى: ﴿**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً**﴾(٣) فأوجب الحج على المستطيع فلو لم يستطع إلا من حج لم يكن الحج قد وجب إلا على من حج ولم يعاقب أحد على ترك الحج، وهذا خلاف المعلوم بالاضطرار في دين الإسلام وقال تعالى: ﴿**فاتقوا الله ماستطعتم**﴾(٤) فأوجب التقوى بحسب

(=) المفسر المتكلم صاحب التصانيف المشهورة ومنها "التفسير الكبير" كان بينه الكرامية السيف الأحمر فينال منهم وينالون منه سبا وتكفيراً، وكان من أئمة الأشاعرة وذكر ابن كثير أنه رجع إلى مذهب السلف، توفي سنة ٦٠٦هـ بهراة يوم عيدالفطر. العبر (١٤٢/٣) والبداية والنهاية (٥٣/١٣) والنجوم الزاهرة (١٩٩/٦) وشذرات الذهب (٢٠/٥).

(١) منهاج السنة (٢٤٥/٣-٢٦٨) مع اختلاف في الالفاظ واختصار في العبارات من المؤلف.

(٢) المصدر السابق (٤١/٣).

(٣) سورة آل عمران: آية (٩٧).

(٤) سورة التغابن: آية (١٦).

الاستطاعة، فلو كان من لم يتق الله لم يستطع التقوى لم يكن قد أوجب التقوى إلا على من اتقى ولايعاقب من لم يتق، وهذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أيضاً، وهؤلاء إنما قالوا هذا لأن القدرية من المعتزلة والشيعة وغيرهما قالوا: إن القدرة لاتكون إلا قبل الفعل لتكون صالحة للضدين الفعل والترك واما حين الفعل فزعموا أنه حينئذ لايكون قادراً لأن القادر لابد أن يقدر على الفعل والترك، وحين الفعل لايكون قادراً على الترك فلا يكون قادراً، وأهل السنة يقولون: لابد أن يكون قادراً حين الفعل ويكون أيضاً قادراً قبل الفعل، وقالت طائفة منهم: لا يكون قادراً إلا حين الفعل وهؤلاء يقولون إن القدرة لاتصلح للضدين فإن القدرة المقارنة للفعل لا تصلح إلا لذلك الفعل وهي مستلزمة له لاتوجد بدونه فإن المقارن للشيء مستلزم له لايوجد مع عدمه فإن وجود الملزوم بدون اللازم ممتنع وهذا قالته القدرية بناء على أصلهم الفاسد وهو أن إقدار الله المؤمن والكافر والبر والفاخر سواء، فلا يقولون إن الله خص المؤمن المطيع بإعانة حصل بها الإيمان بل يقولون إن إعانته للمطيع والعاصي سواء، ولكن هذا بنفسه رجح الطاعة كالوالد الذي أعطى كل واحد من ابنيه سيفا فهذا جاهد به في سبيل الله وهذا قطع به الطريق، أو أعطاهما مالاً فهذا أنفقه في طاعة الرحمن وهذا أنفقه في طاعة الشيطان، وهذا القول فاسد باتفاق أهل السنة والجماعة فإنهم متفقون على أن لله على عبده المؤمن المطيع نعمة دينية خصه بها دون الكافر وأنه أعانه على الطاعة إعانة لم يعن بها الكافر كما قال تعالى: ﴿**ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم**﴾[١] الآية، وقال: ﴿**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام**﴾[٢]

---

(١) سورة الحجرات: آية (٧).

(٢) سورة الأنعام: آية (١٢٥).

والآيات في مثل هذا كثيرة تبين اختصاص عباده المؤمنين بالهدى والإيمان والعمل الصالح، والعقل يدل على ذلك أيضاً، فانه إذا قدر أن جميع الأسباب الموجبة للفعل من الفاعل كما هي من التارك كان اختصاص الفاعل بالفعل ترجيحاً لأحد المثلين على الآخر بلا مرجح، وذلك معلوم الفساد بالضرورة، وهذا هو الأصل الذي بنوا عليه إثبات الصانع، فإن قدحوا في ذلك انسد عليهم طريق إثبات الصانع، وغايتهم أن قالوا القادر المختار يرجح أحد مقدورَيْه على الآخر بلامرجح وهذا فاسد فإن مع استواء الأسباب من كل وجه يمتنع الرجحان، وأيضاً فقول القائل: (يرجح بلا مرجح) إن كان لقوله يرجح معنى زائد على وجود الفعل فذاك هو السبب المرجّح، وإن لم يكن له معنى زائد كان حال الفاعل قبل وجود الفعل كحاله عند الفعل، ثم الفعل حصل في إحدى الحالتين دون الأخرى بلا مرجح، وهذا مكابرة للعقل، فلما كان أصل قول القدرية إن فاعل الطاعات وتاركها كلاهما في الاعانة والإقدار سواء امتنع على أصلهم أن يكون مع الفعل قدرة تخصه لأن القدرة التي تخص الفعل لاتكون للتارك، وإنما تكون للفاعل، والقدرة لا تكون إلا من الله، وما كان من الله لم يكن مختصاً بحال وجود الفعل، ثم لما رأو أن القدرة لابد أن تكون قبل الفعل قالوا: لاتكون مع الفعل، فإن القدرة هي التي يكون بها الفعل والترك، وحال وجود الفعل يمتنع الترك[1] كما تقدم.

قال ابن تيمية: "وهذا باطل قطعاً فإن وجود الأثر مع عدم بعض شروطه الوجودية يمتنع، بل لابد أن يكون جميع ما يتوقف عليه الفعل من

---

(١) منهاج السنة (٣/٤١-٤٧).

الأمور الوجودية موجودا عند الفعل، فنقيض قولهم هو الحق، وهو أن الفعل لابد أن يكون معه قدرة، لكن صار أهل إثبات القدرة للعبد هنا فريقين، فريقاً قالوا: لا تكون القدرة إلا مع الفعل ظناً منهم أن القدرة نوع واحد، وظناً من بعضهم أن القدرة عرض(١) لاتبقى زمانين فيمتنع وجودها قبل الفعل، والصواب الذي عليه أئمة الفقه والسنة: أن القدرة نوعان: نوع مع الفعل مقارن له، ونوع مصحح للفعل يمكن معه الفعل والترك، وهذه هي التي يتعلق بها الأمر والنهي وتحصل للمطيع والعاصي وتكون قبل الفعل وتبقى إلى حين الفعل، إما بنفسها عند من يقول ببقاء الأعراض، وإما بتجدد أمثالها عند من يقول الأعراض لاتبقى وهذه قد تصلح للضدين، وأمر الله لعباده مشروط بهذه الطاقة، فلا يكلف الله من ليست معه هذه الطاقة، وضد هذا العجز".(٢)

واعلم أن على هذه المسألة(٣) ينبني مسألة تكليف مالا يطاق، فمن قال

---

(١) العرض: هو الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع -أي محل يقوم به- كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم به.
والاعراض على نوعين: قارّ الذات: وهو الذى يجتمع أجزاؤه في الوجود كالبياض والسواد.
وغير قارّ الذات: وهو الذى لايجتمع أجزاؤه في الوجود كالحركة والسكون. التعريفات للجرجاني (١٤٨).

(٢) منهاج السنة (٣/٤٧،٤٨) مع اختصار وزيادة من المؤلف للايضاح والبيان.

(٣) يقصد المؤلف بقوله: (هذه المسألة) الطاقة والقدرة والاستطاعة التي حصل فيها الخلاف السابق بين أهل السنة وأهل البدع من حيث كون الاستطاعة قبل الفعل أو معه أو بعده، والتي سبق بيان المؤلف لها، ومانقله من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى الذى بين فيه القول الحق في هذه المسألة وهو قول أهل السنة والجماعة الذين قالوا إن القدرة والاستطاعة التي للعبد وعليها مناط الأمر والنهي وهي الصحة والوسع وسلامة الآلات تكون قبل الفعل ولا يجب ==

إن القدرة لاتكون إلا مع الفعل كالأشعري وغيره، ويقول: كل كافر وفاسق قد كلف مالا يطاق، لأن من سبق في علم الله أنه لايؤمن لايقدر على الإيمان أبداً.

وبعضهم قال: هذا تكليف بالمستحيل، وكنت مشيت على هذا في كتابي "البرهان في تفسير القرآن" في أول سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿**سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون**﴾(١)، ومن قال أن القدرة المشروطة في التكليف تكون قبل الفعل وبدون الفعل وقد تبقى إلى حين الفعل، والقدرة المستلزمة للفعل لابد أن تكون موجودة عند وجوده، يقول: إنه لم يكلف مالا يطاق، قال: بل كلف ما أطاق.

(=) أن تكون معه، وهي التى مثل لها شيخ الإسلام رحمه الله بالحج في كلامه السابق وهي الاستطاعة التي يتكلم عليها الفقهاء في كتبهم أما الاستطاعة التي يجب معها وجود الفعل، فهذه لابد أن تكون مع الفعل، لأن الفعل لايوجد بقدرة معدومة، وكون القدرة لاتكون إلا مع الفعل لايلزم منه أن الفاعل والتارك للفعل سواء في الاستطاعة، لأن الفاعل فعل باستطاعة خاصة عن التارك ، والى هذا يشير شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بقوله: "لو كان المراد بها مجرد المقارنة في الفاعل والتارك، لم يكن فرق بين هؤلاء المذمومين وبين المؤمنين، ولا بين الخضر وموسى، فإن كل أحد فعل أو لم يفعل لاتكون المقارنة موجودة قبل فعله، والقرآن يدل على أن هذه الاستطاعة إنما نفيت عن التارك لا عن الفاعل، تعلم أنها مضادة لما يقوم بالعبد من الموانع التى تصد قلبه من إرادة الفعل وعمله، وبكل حال فهذه الاستطاعة منتفية في حق من كتب عليه أنه لايفعل بل وقضى عليه بذلك". مجموع الفتاوى (٢٩٢/٨).

ولمزيد من الايضاح والتفصيل انظر: مقالات الإسلاميين (١٤٨/١، ٣٠٠، ٣٤٠) والفصل لابن حزم (٢٦/٣-٤٠) ودرء تعارض العقل والنقل (٦٠/١-٦٤) وشرح العقيدة الطحاوية (٦٣٣/٢-٦٣٩).

(١) سورة البقرة: آية (٦).

قال ابن تيمية: "وهذا قول جمهور أهل السنة وأئمتهم، فإن الله تعالى قد أوجب الحج على المستطيع حج أو لم يحج، وأوجب صيام الشهرين في الكفارة على المستطيع كفّر أو لم يكفّر، وأوجب الإسلام على الكافر أسلم أو لم يسلم، وأوجب العبادات على القادرين دون العاجزين فعلوا أو لم يفعلوا".(١)

ثم اعلم أن تكليف مالا يطاق(٢) ينقسم إلى قسمين:

---

(١) منهاج السنة (٣/٥٢).

(٢) إن القول بتكليف العبد مالا يطيق من البدع الحادثة في الإسلام جاء بها أهل البدع دليلاً على صحة قولهم في القدر، وقد اتفق السلف على منعه وعدم جواز إطلاقه، وإن ذلك لم يقع في الشريعة لأن الله سبحانه وتعالى لطيف بعباده رحيم بهم أخبر أنه لايفعل ذلك ولايكلفهم مالا يطيقون، قال تعالى: ﴿**لايكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾ [سورة البقرة: آية ٢٨٦].
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "إطلاق القول بتكليف مالا يطاق من البدع الحادثة في الإسلام، كإطلاق القول بأن العباد مجبورون على أفعالهم وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على إنكار ذلك، وذم من يطلقه، وإن قصد به الرد على القدرية". درء تعارض العقل والنقل (١/٦٥).
وقال أيضاً: "وليس في السلف والأئمة من أطلق القول بتكليف مالا يطاق كما أنه ليس فيهم من أطلق القول بالجبر، وإطلاق القول بأنه يجبر العباد كإطلاق القول بأنه يكلفهم مالا يطيقون، هذا سلب قدرتهم على ما أمروا به، وذلك سلب كونهم فاعلين قادرين". مجموع الفتاوى (٨/٤٦٩).
بل إن الله سبحانه وتعالى كلف العباد بأقل ممايطيقون تيسيراً منه تبارك وتعالى على عباده وتخفيفاً عليهم كما قال تعالى: ﴿**يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر**﴾ [سورة البقرة: آية ١٨٥] وقال تعالى: ﴿**يريد الله أن يخفف عنكم**﴾ [سورة النساء: آية ٢٨] وقال تعالى: ﴿**وماجعل عليكم في الدين من حرج**﴾ [سورة الحج: آية ٧٨] فلو زاد علينا سبحانه وتعالى فيما كلفنا به لأطقناه، ولكنه تفضل علينا ورحمنا وخفف عنا، ولم يجعل علينا في الدين من حرج.
شرح العقيدة الطحاوية (٢/٦٥٦).
وسيأتي إيضاح وبيان للقول الحق في مسألة التكليف بما لايطاق في كلام المؤلف وماينقله من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

أحدهما: مالا يطاق للعجز عنه بطريق الآلات كتكليف المقعد القيام والمشي وتكليف الإنسان الطيران والأعمى نقط المصاحف، فهذا غير واقع في الشريعة، ولم يكلف الله به أحداً.(١)

ثانيهما: تكليف مالا يطاق للاشتغال بضده مع سلامة الآلات كتكليف الكافر الإيمان مع سبق علم الله بإنه لايؤمن، والتكليف بهذا واقع بالاتفاق، فاشتغال الكافر بالكفر هو الذي صده عن ضده الذي هو الإيمان فإنه بمنزلة القاعد المأمور بالقيام، فإن اشتغاله بالقعود هو الذي يمنعه أن يكون قائماً، والإرادة الجازمة لأحد الضدين تنافي الضد الآخر، وتكليف الكافر والعاصي السابق علم الله وقدره فيهما من هذا الباب، وتكليف مثل هذا ليس بقبيح شرعاً ولا عقلاً عند أحد من العقلاء متفقون على أمر الإنسان ونهيه بما لايقدر عليه حال الأمر والنهي لاشتغاله بضده إذا أمكن أن يترك ذلك الضد ويفعل الضد المأمور به، فإن السيد لايأمر عبده الأعمى بنقط المصاحف، ويأمره أن يقوم، ويعلم بالضرورة الفرق بين هذا وهذا، وتكليف مالا يطاق للاشتغال بضده لانزاع في وقوعه كما تقدم وإنما النزاع هل يسمى هذا تكليف مالا يطاق لكونه تكليفاً بما انتفت فيه القدرة المقارنة للفعل، فمنهم من يدخل هذا في تكليف مالا يطاق كمايقوله القاضي أبوبكر والقاضي أبو يعلى(٢) وغيرهما فإنهم يقولون: مالا يطاق قسمان: مالا يطاق

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومثل هذا التكليف لم يكن واقعاً في الشريعة باتفاق طوائف المسلمين إلا شرذمة قليلة من المتأخرين ادعوا وقوع مثل هذا التكليف في الشريعة، ونقلوا ذلك عن الأشعري وأكثر أصحابه، وهو خطأ عليهم". مجموع الفتاوى (٨/٤٧٠).

(٢) الإمام القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف البغدادي ==

للعجز عنه، ومالا يطاق للاشتغال بضده، ومنهم من يقول هذا لايدخل في تكليف مالا يطاق.

قال ابن تيمية: "وهذا هو الأشبه بما في الكتاب والسنة وكلام السلف، فإنه لايقال للمستطيع المأمور بالحج إذا لم يحج إنه كلف مالا يطيق، فإن الله خلق له القدرة المشروطة في التكليف المصححة للأمر والنهي، كما في العباد إذا أمر بعضهم بعضاً، فما يوجد في القدرة في ذلك الأمر فهو موجود في أمر الله لعباده، بل تكليف الله أيسر ورفعه للمشقة والحرج أعظم، والناس يكلف بعضهم بعضاً أعظم مما أمرهم الله ورسوله، ولا يقولون هذا تكليف مالا يطاق.

ومن تأمل أحوال من يخدم الملوك والأكابر ويسعى في طاعتهم وجد عندهم من ذلك ماليس عند المجتهدين في العبادة لله تعالى، وأما قوله سبحانه ﴿**وكانوا لايستطيعون سمعاً**﴾(١) لم يرد به هذا فإن جميع الناس قبل الفعل ليس معهم القدرة الموجبة للفعل فلا يختص بذلك العصاة بل المراد أنهم يكرهون سماع الحق كراهة شديدة لاتستطيع أنفسهم معها سماعه لبغضهم ذلك ونفرتهم منه لا لعجزهم عنه، كما أن الحاسد لايستطيع الإحسان إلى المحسود لبغضه له لا للعجز عنه، وعدم هذه الاستطاعة لاتمنع

(=) الحنبلي ابن الفراء، شيخ الحنابلة وعالم العراق في زمانه، كان ذا عبادة وتهجد مع الجلالة والورع، له تصانيف كثيرة مفيدة منها "أحكام القرآن" و"مسائل الإيمان" و"ابطال التأويلات" توفي سنة ٤٥٨هـ. طبقات الحنابلة (١٩٣/٢) وتاريخ بغداد (٢٥٦/٢) وسير أعلام النبلاء (٨٩/١٨) والبداية والنهاية (١٠٢/١٢).

(١) سورة الكهف: آية (١٠١).

الأمر والنهي، فإن الله يأمر الإنسان بمايكرهه كالقتال، وينهاه عمايحبه كهوى النفس، وليس من شرط المأمور به أن يكون العبد مريداً له، ولا من شرط المنهى عنه أن يكون العبد كارهاً له، فإن الفعل يتوقف على القدرة والإرادة والمشروط في التكليف أن يكون العبد قادراً على الفعل لا أن يكون مريداً له، لكنه لايوجد إلا إذا كان مريداً له، فالإرادة شرط في وجوده لا في وجوبه.(١)

إذا علمت هذا علمت أن الله تعالى لم يكلف العباد مالايطيقون لقوله تعالى: ﴿**لايكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾(٢)، وإنما كلفهم بما في وسعهم وطاقتهم، فإن العبد له قدرة وإرادة وفعل حقيقة يقدر به على فعل ما كلف به وعلى تركه كما تقدم، وإن كان الله تعالى هو خالق ذلك كله كما هو خالق كل شيء فإن خلقه القدرة في العبد مع سلامة الآلات مع الإرشاد والبيان لما هو النافع والضار ببعث الرسل المزيحة للعامل محض فضل منه تعالى، وقد اختلف العلماء في حكمة تكليف المكلفين وعقاب العاصين، وانقسموا في ذلك قسمين: أهل الحكمة والتعليل، وأهل المشيئة والتفويض.

فقال أهل المشيئة:(٣) لا حكمة في تكليف المكلفين وعقاب العاصين

---

(١) منهاج السنة (٣/٥٣،١٠٥،١٠٦).

(٢) سورة البقرة: آية (٢٨٦).

(٣) وهذا قول الاشاعرة، وهم يقولون بنفي التعليل في أفعال الله تعالى بالحكم والمصالح والأغراض والغايات ويقولون إن الله خلق المخلوقات وأمر بالمأمورات بمحض المشيئة والارادة لا لعلة ولا لداع ولا باعث له على الفعل، يقول الآمدي مبيناً مذهبهم في ذلك -وهو منهم- "مذهب أهل الحق أن البارى تعالى خلق العالم وأبدعه لا لغاية يستند الإبداع إليها، ولا لحكمة يتوقف الخلق عليها، بل كل ماأبدعه من خير وشر ونفع وضر، لم يكن لغرض قاده إليه، ولا لمقصود أوجب الفعل عليه". غاية المرام (٢٤). ==

إلا محض المشيئة الإلهية فهو سبحانه يفعل مايشاء ويحكم مايريد ﴿**لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾.[١]

وقال أهل التعليل:[٢] إن من أسمائه تعالى الحكيم[٣]، فهو لايفعل

(=) ولمزيد من التفصيل عن هذا القول انظر الارشاد للجويني (٢٤٧) والتمهيد للباقلاني (٥٠-٥١) ونهاية الإقدام للشهرستاني (٣٩٧).
وقول الأشاعرة قول باطل ومردود. انظر مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية (٣٢٦/١) الرسالة الثامنة رسالة الإرادة والأمر، وشفاء العليل (٤٣٠) وما بعدها، ففيهما بيان للحق ورد على شبهاتهم.

(١) سورة الأنبياء: آية (٢٣).

(٢) المقصود بأهل التعليل: الذين يعللون أفعال الله تعالى ويقولون إن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق وأمر بالمأمورات وفعل المفعولات لحكمة مقصودة تنزيهاً له سبحانه وتعالى عن العبث، وهو قول السلف والمعتزلة ومن وافقهم ممن يقول بالتعليل، ولكن المعتزلة وإن وافقوا السلف على قولهم بالتعليل إلا إنهم يخالفونهم في أمور منها:
١- أن المعتزلة يقولون: الحكمة إحسان الله إلى خلقه ومراعاة مصالحهم وهي مخلوقة منفصلة عنه تعود على العباد ولايعود إليه سبحانه وتعالى منها شيء، وقد رد السلف عليهم وبينوا أن الحكمة صفة لله غير مخلوقة لأنه سبحانه وتعالى حكيم له صفة الحكمة، وصفاته تعالى غير مخلوقة.
٢- المعتزلة يقولون إنه يجب على الله تعالى أن يفعل الأصلح كما أوجبوا عليه اللطف وإثابة المطيع ومعاقبة العاصي والعوض عن الآلام، وقد رد عليهم السلف ذلك وقالوا:إن الله سبحانه وتعالى لايجب عليه إلا ماأوجبه عز وجل على نفسه. والحق في هذا هو قول أهل السنة والجماعة لأنه قول مستند إلى نصوص الكتاب والسنة.
ولمزيد من التفصيل انظر مجموعة الرسائل والمسائل (١٦٤/٥) وشفاء العليل (٤٠) ومابعدها.

(٣) وهو ثابت بالكتاب والسنة قال تعالى: ﴿**وهو الحكيم الخبير**﴾ [سورة الانعام: آية ٨١] وقال تعالى: ﴿**والله عزيز حكيم**﴾ [سورة البقرة: آية ٢٢٨]
وفي صحيح مسلم (٢٠٧٢/٤) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: علمني كلاماً أقوله، قال: قل لا إله إلاالله وحده لاشريك له... وذكر فيه "لاحول ولاقوة إلابالله العزيزالحكيم..." الحديث.

شيئاً إلا لحكمة ولا يتركه إلا لانتفاء الحكمة فيه، وإن كنا نحن لانعلم وجه الحكمة، وقالوا: تكليف الله العباد ليس لاحتياجه إلى ذلك، فإنه سبحانه غني[١] عن العباد، بل لتزكيتهم ورفعهم من الحضيض الأسفل، فإن التكليف كله إرشاد وهدى وتعريف للعباد ماينفعهم في المعاش والمعاد، فأمرهم سبحانه على ألسنة رسله بما ينفعهم ونهاهم عما يضرهم وبين لهم النافع ليرتكبوه والضار ليجتنبوه، وأعطى كل مكلف القدرة والإرادة وسلامة الآلات فيما كلف به، فهو تعالى محسن إلى عباده المكلفين عموماً لأمره لهم بما ينفع، ونهيهم عما يضر مع الإرشاد والبيان وخلق القدرة فيهم، ومحسن بإعانته على الطاعة لمن شاء منهم خصوصاً، ولو قُدّر أن عالماً صالحاً أمر الناس بما ينفعهم ثم أعان بعض الناس على فعل ماأمرهم به ولم يعن آخرين لكان محسناً إلى هؤلاء إحساناً تاماً، ولم يكن ظالماً لمن لم يحسن إليه كالطبيب إذا أمر المريض بشرب الدواء لم يكن عليه أن يعاونه، والمفتي إذا أمر المستفتي بما يجب عليه لم يكن عليه أن يعاونه وإن كان قادراً على معاونته، ولو قُدّر أنه عاقب المذنبين المخالفين العقوبة التي يقتضيها عدله وحكمته لكان أيضاً محموداً على ذلك، ولم يكن ذلك ظلماً، وليس لهم أن يقولوا أنت لم تعنا مع كونهم قادرين، فإذا أمر سبحانه مثل فرعون وأبي لهب بالإيمان كان قد بين لهم ما ينفعهم ويصلحهم إذا فعلوه، ولا يلزم إذا

---

(١) قال تعالى: ﴿**يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد**﴾ [سورة فاطر: آية ١٥] وفي سنن أبي داود (١/٦٩٢) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: شكا الناس إلى رسول الله ﷺ قحوط المطر فأمر بمنبر فوضع له... وفيه قال: "اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغنى ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث واجعل ماأنزلت لنا قوة وبلاغاً إلى حين..." الحديث.

أمـرهم أن يعينهم، بل قد يكـون في إعانتهم وجه مفسـدة، فإنه تعالى يخلق مايخلق لحكمة، وإن كنّا لانعلمهـا، وإن لم تعلل أفعالـه بالحكمة فإنه سبحانه يفعل ما يشاء، وعلى كل تقدير فهو سبحانه ليس بظالم خلافاً لما قد يتوهمه من قصر فهمه وانثنى عن أبواب السعادة عزمه.

وقد اختلفوا في تفسير الظلم:

فقال قوم من أهل المشيئة والتفويض:[١] إنما يكون الظلم ممن تصرف فيمـا لايملك، والله تعالى مالك كل شيء، ويروى عـن إياس بن معاوية[٢] رحمـه اللـه قال: "ما خاصمـت بعقلي كلـه إلا القدرية قلـت لهـم أخبروني ماالظلم؟ قالوا أن يتصرف الإنسان فيما ليس له، قلـت: فلله كل شيء".[٣]

---

(١) وهـو قول الجهمية والأشاعرة. انظـر رسالة لابن تيمية في معنى كـون الرب عادلاً وفي تنزهه عن الظلم ضمن جامع الرسائل/ المجموعة الأولى (١٢٢).

(٢) أبو واثلـة إياس بن معاوية بن قـرة بن إياس المزني البصـري، لجده صحبـة كان يضرب به المثل في الذكاء والدهاء والسؤدد والعقل، وكان على القضاء بالبصرة، وقـد وثقه ابن معين والنسائي وغيرهم، توفي سنة ١٢٢هـ. مشـاهير علماء الأمصار (١٥٣) وتهذيب الكمال (٤٠٧/٣) والعبر (١١٩/١) وتهـذيب التهذيب (٣٩٠/١) والبداية والنهاية (٣٧٦/٩) وشذرات الذهب (١٦٠/١).

(٣) أخرجه عبـدالله بن أحمد في السنـة (٤٢٨/٢) وأبوبكر الخلال في السنـة (٥٦٠) والآجري في الشـريعة (٢٢٠) وابن بطة في الإبانة (٣٧٧/٢) واللالكـائي في شرح أصول أعتقاد أهل السنة والجماعة (٦٨٧/٤) قال كل مـن محقق السنة للخلال، والسنة لعبدالله بن أحمد: إسناده صحيح.

وأخرج الآجرى في الشريعة (٢٢٠) عن حبيب بن الشهيد رحمـه الله تعالى قال: "جاءوا برجل إلى إياس بن معـاوية، فقـالوا: هـذا يتكلم في القـدر، فقـال إياس: مـاتقول؟ فقال: أقول: إن الله عز وجل قد أمر العباد ونهـاهم، وإن الله لايظلم العبـاد شيئـا، فقـال له إياس: أخبرني عـن الظلم: تعـرفه أو لاتعـرفه؟ فقـال: بلى، أعرفه، قال: ماالظلم؟ قال: أن يأخذ الرجل ماليس له، قـال: فمن أخذ ماله ظلم، قال: لا، قال إياس: الآن عرفت الظلم".

وأهل هذا القول قالوا: إنه تعالى لو عذب العبد بسبب لونه وطوله وقصره لم يكن ظالماً، بل قالوا: إنه تعالى لو عذب أهل السموات والأرض جميعاً من الملائكة والأنبياء وغيرهم لكان عدلاً منه وحقاً له وحكمة من فعله وإن كان لايفعل ذلك، ولو لم يخلق النار وأدخل الخلق جميعاً الجنة لكان عدلاً منه وحقاً وحكمة(١)، كل ذلك عدل من الله لا من غيره ولله الحجة البالغة ﴿**لايسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾(٢)، وأنه لايجب ولايحرم ولايحسن ولايقبح شيء إلا ماأوجبه الله أو حرمه أو حسنه أو قبحه، وقد أباح سبحانه أخذ أموال بالمشرق من أجل قريب لهم قتل قتيلاً خطأ بالمغرب، وهذا الوطء بالتزويج حسن حلال وبالزنا قبيح حرام، بل الخمرة قبل تحريمها وبعده كذلك مع أن الصورة والعين واحدة، وكذلك بذبح الإنسان بقرته وذبحه حماره، فالأول حسن حلال، والثاني قبيح حرام لما فيه من تعذيب الحيوان والتصرف فيما لايملك فعله، ولو أن شخصاً قام ثم وضع رأسه في الأرض مطاطئاً في غير صلاة بحضرة الناس بلاشك عابثاً مقطوعاً عليه بالرعونة، وكذا لو تجرد شخص في ثيابه أمام الجموع في غير حج ولا عمرة وكشف رأسه واستدار حول بناء قائماً مهرولاً ورمى بالحصى لكان عند كل من يراه مجنوناً بلاشك لاسيما إن امتنع من قص شاربه وأظفاره، لكن لما أمر الله بذلك صار كله حسناً واجباً وصار تركه قبيحاً وإنكاره كفراً، فأي مدخل للتعليل هنا أو للعقل في تحسين أو تقبيح كما يقوله المعتزلة، وكيف العقل يحسن أو يقبح؟.

فثبت يقيناًأنه لاظلم ولاقبح إلا مانهى الله به، ولاعدل إلاماأمرالله به.

وفعله تعالى أي شيء كان، وتكليف مالا يطاق والتعذيب عليه

---

(١) انظر مفتاح دار السعادة لابن القيم (٥١٢/٢).
(٢) سورة الأنبياء: آية (٢٣) .

إنما هـو قبيح بالنسبة لنا لا بالنسبـة له تعالى إذ الخلـق كلهـم ملكه وعبيده على الحقيقة لاالمجاز.(١)

والجمهـور من أهل هذا القـول قالوا: إن الظلم في حقـه تعـالى ممتنع لذاته غير مقدور كما صرح بذلك الأشعري والقاضي أبو بكر وأبو المعالى

---

(١) يطلـق لفظ المجاز في اصطلاح كثير مـن المتأخرين على ماهـو قسيم الحقيقة، فإنهم قسموا الكلام إلى حقيقة ومجاز.
فالحقيقة عندهم هى: اللفظ المستعمل فيما وضع له.
والمجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ماوضع له لعلاقة مع قرينة.
وقيل غير ذلك من التعاريف.
انظـر المستصفى في علم الأصـول للغزالى (ص٢٦٨) والأحكـام للآمدى (٢٦/١).
وهذه المسألة وقع فيها الخلاف بين العلماء بين مثبت وناف.
والحقيقة أن تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز اصطلاح حادث قصـد به التوصل إلى نفـى صفـات الكمال عن الله عـز وجل، وإلا فـالأئمة رحمهـم اللـه تعالى وأهل القـرون الثلاثة المفضلة لم يتكلمـوا بهذا الاصطلاح بالمعنى الـذى قصده المبتدعة.
قـال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فهذا التقسيم هـو اصطلاح حادث بعدانقضاء القرون الثلاثة، لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ولا أحد مـن الأئمة المشهـورين بالعلم كمـالك والثورى والأوزاعـى وأبى حنيفـة والشـافعى، بل ولا تكلم به أئمة اللغـة والنحو كالخليل وسيبـويه وأبى عمـرو بن العلاء ونحوهـم، وأول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز أبو عبيـدة معمر بن المثنى في كتابه، ولكن لم يعن بالمجاز ماهو قسيم الحقيقة، وإنما عنى بمجاز الآية مايعبر به عـن الآية... والغـالب أنه -أى المجـاز- كـان مـن جهـة المعتزلـة ونحوهـم مـن المتكلمين... وقد أنكر طائفة أن يكون في اللغة مجاز لا فى القـرآن ولا غيره كأبي إسحـاق الاسفـرائينى... إلى أن قـال رحمـه اللـه: فلا مجاز في القـرآن بل وتقسيم اللغـة إلى حقيقة ومجاز تقسيم مبتدع محدث لم ينطق به السلـف، والخلف فيه على قـولين، وليس النزاع فيه لفظيـا، بل يقال نفس هذا التقسيم باطـل لا يتميز هـذا عـن هذا...". الإيمان (ص٨٤) ومـابعدها، وانظر رسالة في الحقيقـة والمجـاز لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى (٤٠٠/٢٠-٤٩٩) ورسالة "منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والأعجاز" للعلامة محمد الأمين الشنقيطي.

والقاضي أبويعلى وابن الـزاغوني[١] وغيرهم، ويقولون إنه تعالى غير قـادر على الظلم والكذب وغيرهما من القبائح، ولايصح وصفه بشيء من ذلك لأن ذلك مستحيل في حقه تعالى، وقدرته لاتتعلق بالمستحيل.

وقـال آخرون من أهل الحكمـة والتعليل: إن الظلم مقـدور عليـه في حقه تعالى وهو منزه عنـه[٢]، قيـل: وهذا قول الجمهـور من المثبتين للقـدر ونفاته وقول كثير من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، وتفسير الظلم على قـول هؤلاء: هو تعـذيب الإنسان بذنب غيره أو تعـدي ما حد له والله منزه عـن كل منهما، وقـالوا: الفـرق بين تعذيب الإنسـان على فعلـه الاختيـاري وغير فعلـه الاختيـاري أمـر مستقر في فطـر العقـول، وأما كون الرب خالق كل شيء فذلك لايمنع كون العبد هو الملـوم على ذلك شرعـاً

---

(١) أبو الحسن علي بن عبيدالله بن نصر بن عبيدالله بن سهـل بن الزاغوني البغدادي الإمـام العلامة شيخ الحنابلة ذو الفنون وصاحب التصانيـف قال الذهبي: كان من بحور العلم، كثير التصانيف، يرجع إلى دين وتقوى وزهد وعبـادة... ورأيت بخطه مقالة في الحرف والصوت عليه فيهما مأخذ والله يغفر له" مـن مصنفاته "الإقناع والـواضح" "في الفقه وغرر البيان في أصول الفقه والإيضـاح في أصول الدين"، توفي سنـة ٥٢٧هـ. مناقب الإمـام أحمد لابن الجوزي (٦٣٧) وسير أعلام النبلاء (٦٠٥/١٩) والعبر (٤٣١/٢) واللبـــاب (٥٣/٢) وشـــذرات الـــذهب (٨٠/٤).

(٢) الأدلـة على تنزيه اللـه تبارك وتعـالى عـن الظلم وأنه حرمـه على نفسـه كثيرة في الكتـاب والسنة، ومـن ذلك قولـه تعالى: ﴿**مـايبدل القـول لـدي ومـا أنا بظلام للعبيد**﴾ [سورة ق: آية ٢٩] وقوله تعالى: ﴿**ووجدوا ماعملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً**﴾ [سورة الكهف: آية ٤٩] ومن الأحاديث ماأخرجه مسلم في صحيحه (١٩٩٤/٤) من حديث أبي ذر رضي الله عنـــه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: "ياعبادى إني حرمت الظلم على نفســي وجعلته بينكم محرماً فلا تظـالموا..." الحديث، وكلهـا تدل على كمـال عـدله وحكمتـه وغنـاه سبحـانه وتعـالى ووضعـه العقوبة والثـواب مـواضعها، وتقتضى كمـال قـدرته عـز وجل وانفراده بالربوبية والحكم تبارك وتعالى.

وعقلاً وعرفاً، أما شرعاً فواضح، وأما عقلاً وعرفاً فلأن غيره من المخلوقين يلومه على ظلمه وعدوانه مع إقرارهم بأن الله خالق ظلم العباد، وجماهير الأمم مقرة بالقدر وأن الله تعالى خالق كل شيء، وهم مع هذا يذمون الظالمين ويعاقبونهم لدفع ظلمهم وعدوانهم، كما أنهم يعتقدون أن الله خلق الحيوانات المضرة وهم مع ذلك يسعون في دفع ضررها بالقتل وغيره، وهم أيضاً متفقون على أن الكاذب والظالم مذموم بكذبه وظلمه وأن ذلك وصف سيء فيه وأن نفسه المتصفة بذلك خبيثة ظالمة لا تستحق الإكرام الذي يناسب أهل الصدق والعدل، وقد استقر أيضاً في بداية العقول أن الأفعال الاختيارية يكسب بها الإنسان صفات محمودة وصفات مذمومة بخلاف نحو لونه وطوله وعرضه فإنه لا فعل فيه للعبد بوجه من الوجوه.

واستشكل أن خلق الفعل مع حصول العقوبة عليه ظلم، وأجيب: أن هذا بمنزلة أن يقال إن خلق أكل السم ثم حصول الموت به ظلم، أو خلق الحمى ثم حصول الموت بها ظلم، والظلم وضع الشيء في غير موضعه كما أن العدل هو وضع الشيء في موضعه، فكل نعمة من الله فضل، وكل نقمة منه عدل، لأنه محسن للعبد بلاسبب تفضلاً وإحساناً، ولايعاقبه إلا بذنبه وإن كان هو قد خلق الأفعال كلها لحكمة له في ذلك، وإذا كان الإنسان قد يفعل مصلحة اقتضتها حكمته ولاتحصل إلا بتعذيب حيوان ولايكون ذلك ظلماً منه، فالله تعالى أولى أن لا يكون ذلك ظلماً منه، ثم استحقاق هذا الفاعل لأثر فعله الذي هو معصيته الله كاستحقاقه لأثره إذا ظلم العباد، فتبين بهذا أن خلق الفعل في العبد ليس بظلم سواء قيل إن الظلم ممتنع من الله أو قيل إنه مقدور عليه، فإن الظلم الذي هو ظلم أن يعاقب الإنسان على فعل غيره، وأماعقوبته على أفعاله الاختيارية وإنصاف المظلومين

من الظالمين فهو من كمال العدل، وإذا كان العقاب على فعل العبد الاختياري بالنسبة لنا ليس بظلم فهو بالنسبة إلى الرب تعالى له فيه حكمة يحسن لأجل تلك الحكمة، وبالنسبة إلى العبد عدل، لأنه عوقب على فعله، فما ظلمه الله ولكن هو ظلم نفسه[١]، وهذه المسألة مسألة غايات أفعال الله ونهاية حكمته مسألة عظيمة لعلها أجل المسائل الإلهية لا يتسع هذا الموضع لبسط الكلام عليها.

واعتبر الحال لو كان المعاقب للعاصي غير الله يظهر لك العدل وعدم الظلم، فلو عاقبه ولي الأمر إذا أمر الغاصب برد المغصوب إلى مالكه وضمنه التالف أنه يكون حاكماً بالعدل، وما زال العدل معروفاً في القلوب والعقول، ولو قال هذا المعاقب أنا قد قدر عليّ هذا لم يكن هذا حجة، باتفاق العقلاء كما تقدم بيانه، ولا مانعاً لحكم الوالي أن يكون عدلاً منه، فالله تعالى أعدل العادلين إذا اقتص للمظلوم من ظالمه في الآخرة، وأحق بأن يكون ذلك عدلاً منه، فإن قال الظالم هذا كان مقدراً علي لم يكن هذا عذراً صحيحاً ولا مسقطاً لحق المظلوم، وإذا كان الله هو الخالق لكل شيء فذاك لحكمة أخرى له في الفعل، فخلقه تعالى حسن بالنسبة إليه لما له فيه من الحكمة، وقبيح من فاعله لما عليه فيه من المضرة، كما أن أمر الوالي بعقوبة الظالم يسر الوالي لما فيه من الحكمة وهو إظهار عدله وأمره بالعدل وذلك يضر المعاقب لما عليه فيه من الألم، هذا ومثل هذه الأمثال ليست مثل فعل الله تعالى فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته

---

(١) كما قال تعالى: ﴿**وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين**﴾ [سورة الزخرف: آية ٧٦].

ولا في أفعاله، وقياس أفعال الله على أفعال العباد خطأ ظاهر[١]، وإنما هذا تقريب للعقول والمثل لفضل الرب من كل وجه لايمكن في حق المخلوق، فإن الله ليس كمثله شيء، وقد سئل بعض الشيوخ عن أمثال هذه المسائل فأنشد:

ويقبح من سواك الفعل عندي　　　فتفعله فيحسن منك ذاكا

قيل: ومما يبين هذا أن جهة خلق الله وتقديره غير جهة أمره وتشريعه، فإن أمره وتشريعه مقصود به بيان ما ينفع العباد إذا فعلوه ومايضرهم إذا ارتكبوه، بمنزلة أمر الطبيب ونهيه للمريض بما ينفعه ويضره، فأخبر الله تعالى على ألسنة رسله بمصير السعداء والأشقياء، وأمر بما يوصل إلى السعادة، ونهى عما يوصل إلى الشقاوة، وخلقه وتقديره يتعلق بذلك وبحمله المخلوقات، فهو تعالى يفعل ماله فيه حكمة متعلقة بعموم خلقه وإن كان في ضمن ذلك مضرة لبعض الناس، كما أنه تعالى ينزل المطر لما فيه من الحكمة والرحمة والنعمة العامة وإن كان في ضمن ذلك تضرر بعض الناس بسقوط منزله وانقطاعه بسفره وتعطيل معاشه، وكذلك إرسال محمد ﷺ

---

(١) وهذا سبب ضلال أهل البدع كلهم فإنهم لما قاسوا أفعال الله على أفعال عباده وقعوا في الضلال فمنهم من جفى فنفى، ومنهم من غلا فشبه، والقول الوسط هو الحق الذى عليه أهل السنة والجماعة لأنه ليس كل ماكان قبيحاً وظلماً من بنى آدم يكون ظلماً وقبيحاً من الله تعالى كما تقوله القدرية والمعتزلة ومن نحا نحوهم، فإن ذلك تمثيل الله بخلقه وقياس له تبارك وتعالى عليهم، سبحانه عما يقول الظالمون علوا كبيراً.

قال ابن القيم رحمه الله: "وبالجملة فقياس أفعال الله على أفعال العباد باطل قطعاً، ومحض التشبيه في الأفعال، ولهذا جمعت المعتزلة القدرية بين التعطيل في الصفات والتشبيه في الأفعال، فهم معطلة مشبهة لباسهم معلم من الطرفين". مفتاح دار السعادة (٤٤١/٢).

رحمة للعالمين[١]، وإن كـان في ضمن ذلك سقوط رئاسة أقـوام وشقاوتهم، فإذا قدر سبحانه على الكافر كفره قدره لما له في ذلـك من الحكمة والمصلحة العامة وعاقبه لاستحقاقه بفعله الاختياري.

وبالجملـة فعقـوبته تعالى للعصـاة عـدل منه باتفـاق المسلمين، وعفـوه ومغفرته إحسان منه وفضل، وهذا يقول به من يقول إن اللـه خالق أفعال العبـاد، ومن يقول إنهم هـم الخالقون لها ومن يقول إنهـا أفعال له كسب لهـــم.

قلـت: لكـن هنا إشكالات واردة على طـريقة أهل التعليـل لم أر مـن تعرض لها:

الأول: أن الله تعالى قد عذب بالطوفان من قوم نوح المذنب ومـن لا ذنب له بذنب غيره كالأطفال وبقية الحيوانات، وقد تقرر أن الظلم الذي هو ظلم أن يعـاقب الإنسـان على فعـل غيره، وهـذه الحيـوانات قـد عـذبت كلها بعموم الطوفان بذنب قوم نوح.

ولعل الجواب: أن هذا ليس من باب التعذيب والعقوبة وإنما هو من باب الهلاك والفنـاء ببلوغ الآجال المقدرة على جري العـادة الإلهية من أنه لكل موتة سبب، وحينئذ فلم يعاقب من لا ذنب له بذنب غيره.

الثـاني: أن جرم الكـافر متنـاهـي ومقابلة الجرم المتنـاهي بعقـاب مالا نهاية له ظلم وهو على الله محال، ولهذا قال قـوم: بفنـاء النـار[٢] وعـــذاب

---

(١) قال تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ [سـورة الأنبياء: آية ١٠٧] وفي صحيـح مسلم (٢٠٠٧/٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيـل: يارسول الله، ادع على المشركين، قال: "إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة".

(٢) دل الكتاب والسنة على أبدية النار، وبقاء مافيها ممن يستحـق البقاء تحت أنواع العـذاب، أما الموحدون فلابد من خروجهم منها برحمـة أرحم الراحمين. ==

....

(=) والآيات والأحاديث الـدالة على ذلـك كثيرة فمـن الآيات قـول اللـه تعـالى: ﴿**إن اللـه لعـن الكـافرين وأعدّ لهـم سعيـرا * خالـدين فيهـا أبدا لايجـدون وليا ولانصيـرا**﴾ [سـور الاحزاب: آيه ٦٤،٦٥] وقـال تعـالى: ﴿**ومن يعص الله ورسـوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً**﴾ [سـورة الجن: آية ٢٣] وقـال تعالى: ﴿**يريدون أن يخـرجوا مـن النـار وماهم بخارجيـن منها ولهم عذاب مقيم**﴾ [سـورة المائدة: آية ٣٧] وقـال تعـالى: ﴿**لايقضـى عليهـم فيمـوتوا ولايخفف عنهم من عذابها**﴾ [سورة فاطر: آية ٣٦].

ومـن الأحاديث حديث الشفاعة الطويل، وفيـه قوله ﷺ: "... ثمّ اعود الـرابعة فـاقول مـابقى في النـار إلا مـن حبسـه القـرآن، ووجب عليـه الخلـود" أخرجه البخاري في صحيحه (١٤٧/٥) وقـال ﷺ: "يدخل الله أهل الجنة الجنـة، وأهل النـار النـار، ثمّ يقوم مؤذن بينهـم، فيقـول: ياأهل الجنـة لامـوت، وياأهل النار لاموت، كلّ خالد فيما هو فيه" أخرجه مسلم في صحيحه (٢١٨٩/٤).

وعـن أبي سعيد عن النبي ﷺ قـال: "أما أهل النـار الذين هم أهلهـا فلايموتون فيهـا ولايحيون، ولكن ناس أصـابتهم النار بذنوبهم -أو قـال بخطاياهم- فأماتهم اللـه إمـاتة، حتى إذا كـانوا فحمـا أذن في الشفـاعة..." أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٢/١).

وهذه المسألة من المسائل التى اتفق عليها أهل السنة والجماعة ولاعبرة بمن خالف ذلك من أهل البدع والأهواء.

قـال شيـخ الإسلام ابن تيمية رحمـه الله تعالى: "وقد اتفـق سلـف الأمة وأئمتها، وسـائر أهل السنة والجماعة على أن مـن المخلوقات مالايعـدم ولا يفنى بالكليـة، كالجنة والنار والعرش وغير ذلك، ولم يقل بفناء جميع المخلـوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلـة ونحوهم، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنـة رسوله ﷺ وإجماع سلف الأمة وأئمتهـا". مجموع الفتاوى (٣٠٧/١٨).

وقـال ابن القيم رحمه الله تعـالى: "إن القول بفناء الجنـة والنار قول مبتدع، لم يقلـه أحد من الصحابة ولاالتابعين ولاأحد مـن أئمّة المسلمين، والـذين قالوه إنما تلقـوه عـن قياس فاسد كما اشتبـه أصله على كثير من النـاس فـاعتقدوه حقا..." حادى الأرواح ص(٣٥٣).

الكفار كما بسطت الكلام على هذا في مؤلف لطيف سميته «توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين».[١]

ولعل الجواب: أن يقال إن جرم الكافر أيضاً غير متناهي لأنه بموته على الكفر استمر كافراً إلى الأبد، ووصف الكفر لازم له كذلك فلم يعاقب بعقاب غير متناه إلا بذنب غير متناهي.

الثالث: أنا نراه تعالى يؤلم الأطفال إلى الغاية، وكذلك بقية الحيوانات التي لا تكليف لها أصلاً.

ولعل الجواب: إن هذا ليس من باب العقاب لأن العقاب أن تقع تلك العقوبة في مقابلة ذلك الذنب بخصوصه، وأما هذا فلعله من باب الابتلاء والاعتبار ﴿**فاعتبروا ياأولي الأبصار**﴾[٢]، ومما يدل على أن هذا ليس من باب العقوبة أن الله سبحانه لا يعاقب أنبياءه ورسله الكرام مع أنا نجدهم من أشد الناس بلاء، وفيهم من قتل ونشر بالمنشار، فظهر أن جهة البلاء غير جهة العقوبة، لأن العقوبة هي التي تقع في مقابلةالذنب لما مر، ولقوله تعالى: ﴿**ذوقوا ما كنتم تكسبون**﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿**هل تجزون إلا ما كنتم تعملون**﴾[٤] وقوله تعالى:﴿**ذلك بما قدمت يداك**﴾[٥]، وأما مايقع لا في مقابلة ذنب فهو بلاء وابتلاء[٦] من الله تعالى لعباده، لكن يبقى الكلام في

---

(١) انظر رقم (٢٥) من مصنفات المؤلف المخطوطة التي سبقت.
(٢) سورة الحشر: آية (٢).
(٣) سورة الزمر: آية (٢٤).
(٤) سورة النمل: آية (٩٠).
(٥) سورة الحج: آية (١٠).
(٦) كما قال تعالى: ﴿**الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا**﴾ [سورةالملك : آية ٢].

نفس هـذه الحكمة الكلية في هـذه الحوادث، فهـذه ليـس على النـاس معرفة أسـرارها الحقيقة ويكفيهم التسليم لمن قـد علموا أنه بكـل شـيء عليم، وأنه أرحم الراحمين.

ومـن العجيـب قـول كثير مـن النـاس إنه تعالى يؤلم الأطفـال ليكثر بذلـك ثواب والـديهم، وفيه نظـر لما قـال الإمام ابن حزم: "إن مـن الجور والعبث تعذيب من لا ذنب له أصلاً ليكثر بذلك ثواب مـذنب آخر أو غير مذنب، وقد يكون هذا الطفـل أبواه كـافرين، وأيضـاً فبقيـة الحيـوانات كالكلاب ونحوها فإيلامها بالأمـراض ونحوها لماذا؟ لم يبـق إلا أنا نقول: لله تعـالى في هـذا سـر من الحكمـة والعـدل نوقن به ولا نعلم مـاهو ولا كيـف هو؟".(١)

فتـأمل فإنه دقيق، ونجد أيضـاً الحيوان بعضه مسلطـاً على بعض بالقتل وغيره، وبعض الحيوانات يؤكل ولا يأكل هو حيواناً أصلاً، فـأي ذنب كان له حتى سلط عليه غيره فقتله، ومن ذا الذي يثاب هنا.

قلـت: وإيراد مثـل هـذا في هـذا المقـام تلبيـس مـوقع في الحيرة لأن المطلـوب من أهل الحكمة والتعليـل إنما هو تعليل تكليـف المكلفين وعقوبة العاصين، وهذا تقريب معقول المعنى كما تقدم تقريره.

وأمـا تعليـل أفعال الله كلهـا الجارية في المكلفين وغيرهـم فهـذا مما لاسبيـل إلى معرفته والوقوف على سر حقيقته، وفي مثـل هذا المقام تخبطت الأفهـام، فقالت طائفـة: إن البهائم والأطفـال لاتتـألم ولاتحس بالألم، وهـذا جحد للضرورة ومكابرة في المحسوس.

---

(١) الفصل في الملل والنحل (١٥٦/٣) مع اختلاف في الالفاظ.

وقالت طائفة: إن ذلك لايصدر إلا من فاعل الشر.

وقال طائفة من غلاة الرافضة بالتزام التناسخ[١] وقالوا: إنما حسن ذلك لاستحقاقهم ذلك بجرائم سابقة اقترفوها في غير هذه القوالب فنقلت أرواحهم إلى هذه القوالب عقوبة لهم.

وموجب هذا التخبط تعلق أمل هؤلاء بمعرفة حقيقة أسرار أفعال الله تعالى في المكلفين وغيرهم، وهذا مما لاسبيل إلى معرفته، ويكفي معرفة الحكمة والتعليل في ثواب وعقاب المكلفين وهو المراد، وإلا فمن المحال معرفة أسرار أفعاله كلها لأن الرب تعالى لايمثل بالخلق لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله بل له المثل الأعلى[٢]، فما ثبت لغيره من الكمال فهو أحق به وما تنزه عنه من النقص فهو أحق بتنزيهه عنه سبحانه، وليس كل ما كان ظلماً من العبد يكون ظلماً من الرب ولا ماكان قبيحاً من العبد يكون قبيحاً من الرب، فإنه سبحانه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، لكن القدرية شبهت في الأفعال فقاسوا أفعال الله

---

(١) التناسخ: هو القول بتناسخ الأرواح في الاجساد، والانتقال من شخص إلى شخص، ويرى أصحاب التناسخ أن مايجده الإنسان من الراحة والتعب والدعة والنصب مرتب على ماأسلفه من قبل وهو في بدن آخر جزاء على ذلك، والإنسان دائماً في أحد أمرين: إما فعل، وإما جزاء. والقائلون بالتناسخ هم الفلاسفة والسمنية وبعض القدرية والغلاة من الرافضة.
الفرق بين الفرق للبغدادى (٢٧٠-٢٧٦) والملل والنحل للشهرستاني (٥٥/٢).

(٢) كما قال تعالى: ﴿ولله المثل الأعلى﴾ [سور النحل: آية ٦٠] فالله سبحانه وتعالى يستعمل في حقه قياس الأولى وهو أن كل كمال لانقص فيه بوجه من الوجوه ثبت بنوعه للمخلوق، فالله عز وجل أحق به، وكل نقص أو عيب نفي عن المخلوق فإنه يجب نفيه عن الخالق تبارك وتعالى بطريق الأولى.
انظر شرح العقيدة الطحاوية (٨٧/١، ٨٨).

على أفعال خلقه، وهو أفسد القياس.

ولهذا قال جمهور المعتزلة: وجدنا في الشاهد أن من فعل الجور كان ظالماً جائراً، ومن أعان فاعله على فعله ثم عاقبه عليه كان جائراً عابثاً، والعدل في صفات الله، والظلم منفي عنه تعالى باتفاق المسلمين.

قال ابن حزم: "وليس الأمر كماظننته عقولهم الحاكمة على الله تعالى في أنه لايحسن منه تعالى إلا ماحسنته عقولهم وأنه يقبح منه ماقبحته عقولهم.[1]

قال:[2] "والحق أن كل مافعله الله سبحانه فهو حق وعدل أي شيء كان وإن كان منّا جوراً وسفهاً".[3]

وقالت طائفة: "إن من خلق خلقاً ثم سلط بعضهم على بعض فهو ظالم جائر عابث فقالوا إن خالق الخير غير خالق الشر.

وقالت البراهمة:[4] إن من العبث والجور وخلاف الحكمة أن يعرض

---

(١) الفصل في الملل والنحل (١٣٧/٣).
(٢) القائل ابن حزم رحمه الله.
(٣) الفصل في الملل والنحل (١٣٨/٣).
(٤) البراهمة نسبة إلى رجل يقال له براهم، وتعد ديانة البراهمة من أقدم الديانات في الأمم، وقد مهد لهم براهم نفى النبوات أصلاً، وقرر استحالة ذلك في العقول، وهم أصناف، فمنهم أصحاب البردة، ومنهم أصحاب الفكرة، ومنهم أصحاب التناسخ.
يقول أبو المظفر الأسفرائيني: "والبراهمة ينكرون جميع الأنبياء ولكنهم يقولون بحدوث العالم وتوحيد الصانع". وقد رد الشهرستاني على من يقول إن البراهمة نسبة إلى إبراهيم عليه السلام وبين خطأ ذلك. انظر: التبصير في الدين للاسفرائيني (١٥٠) والملل والنحل (٢٥٠/٢-٢٥٢) والبرهان في عقائد أهل الأديان (٨٧).

الله عباده لما يعلم أنهم يعصونه فيه ويستحقون العذاب عليه يريدون بذلك إبطال الرسالة والنبوات".[١]

وموجب هذا كله قياس أفعال الله على أفعال خلقه تعالى الله عمايقول الظالمون علواً كبيراً، وليس على العباد أن يعلموا تفصيل حكمة الله في كل شيء[٢] بل يكفيهم العلم العام والإيمان التام، والله أعلم.

---

(١) انظر الفصل في الملل والنحل (١٣٩،١٣٨/٣).

(٢) لايلزم من إثبات تعليل أفعال الله تعالى بالحكم والمصالح معرفة علة كل فعل وأمر، والواجب على المسلم أن يعتقد أن لله في جميع أفعاله حكماً جليلة، وأنه لايفعل شيئاً عز وجل إلا لحكمة سواء ظهرت لنا أو خفيت لأن الله عز وجل لم يطلع العباد إلا على ماشاء من حكمه، وماخفي عليهم أكثر، والله سبحانه وتعالى لايخلو فعل من أفعاله ولا أمر من أوامره ولا حكم من أحكامه من حكمة، وعدم العلم بالشيء ليس دليلاً على عدم ذلك الشيء وإنما هو دليل على قصر عقولنا عن إدراكها.

«الجواب الخامس»

وأما الجواب عن الخامس: وهو أنه ربما لزم عليه إفحام الأنبياء وانقطاع حجتهم إلى آخره.

فنقول: الجواب عن هذا من وجوه:

الأول: أن هذا إنما يكون إفحاماً وانقطاعاً لو كان الاحتجاج بالقدر سائغاً، فأما إذا كان الاحتجاج به باطلاً بطلاناً ضرورياً متقرراً في الفطر والعقول كما تقدم لم يكن هذا اعتراض متوجهاً.

وأيضاً فمن المستقر في فطر الناس وعقولهم أنه من طلب منه فعل من الأفعال الاختيارية لم يكن له أن يحتج بمثل هذا، ومن طلب ديناً له على آخر لم يكن له أن يقول لاأعطيك حتى يخلق الله في الإعطاء، ومن أمر عبده لم يكن له أن يقول لاأفعله حتى يخلق الله في فعله أو القدرة على ذلك.

وهذا أمر جبل عليه الناس مسلمهم وكافرهم مقرهم بالقدر ومنكرهم، ولا يخطر ببال أحد منهم الاعتراض بمثل هذا، فإذا كان هذا الاعتراض معروف الفساد في بداية العقول لم يكن لأحد أن يحتج به على الرسول ﷺ.

الثاني: أن الرسول ﷺ يقول له: أنا نذير لك، إن فعلت ما أمرتك به نجوت وسعدت، وإن لم تفعله عوقبت، كما قال ﷺ:[1] لما صعد الصفا

---

(١) أخرجه البخاري: "كتاب التفسير" - باب ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ (١٦/٦) ومسلم: "كتاب الإيمان"، باب قوله تعالى: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ (١٩٣/١، ١٩٤)، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يابني فهر، ==

ونادى قومه فأجابوه فقال: "أرأيتم لو أخبرتكم أن عدواً مصبحكم أكنتم مصدقي" قالوا: ماجربنا عليك كذباً، قال: "فإني نذير لكن بين يدي عذاب شديد"، ومن المعلوم أن من أنذر بعدو لم يقل لنذيره: قل لله يخلق فيّ قدرة على الفرار، فهذا الكلام لا يقوله إلا مكذب للرسول النذير، إذ ليس في الفطر مع تصديق النذير الاعتلال بمثل هذا، وإذا كان هذا تكذيباً حاق به ماحاق بالمكذبين، فإنه لايقال لأحد من الناس هذا العدو قد قصدك

هذا السبع أو هذا السيل المنحدر ويقول لا أهرب حتى يخلق الله في الهرب، بل يحرص على الهرب ويسأل الله الإعانة، وكذلك المحتاج للطعام والشراب واللباس فإنه لا يقول لا آكل ولا أشرب ولا ألبس حتى يخلق الله في ذلك.

الثالث: أن يقال مثل هذا الكلام إما يقوله من يريد الطاعة ويعلم أنها تنفعه أو من لا يريدها ولا يعلم أنها تنفعه، وكلاهما يمتنع منه أن يقول مثل هذا الكلام، فإن من أراد الطاعة وعلم أنها تنفعه أطاع قطعاً إذا لم يكن عاجزاً فإن نفس الإرادة للطاعة مع القدرة توجب الطاعة، فإنه مع وجود القدر والداعي التام يجب وجود المقدور كما تقدم، فمن أراد النطق بالشهادتين مثلاً إرادة جازمة نطق بهما قطعاً لوجود القدرة والداعي التام،

(=) يابني عدي، -لبطون قريش- حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ماهو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ماجربنا عليك إلا صدقاً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، قال: فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت ﴿**تبت يدا أبي لهب وتب، ماأغنى عنه ماله وماكسب**﴾.

ومـن لم ينطـق علم أنه لم يرد، ومـن لم يرد الطـاعة فيمتنـع أن يطلـب مـن الرسول ﷺ أن يخلقها فيه فإنه إذا طلب من الرسول ﷺ أن يخلقها الله فيه كان مريداً لها، ولا يتصور أن يقول مثل ذلك إلا مـريد، ولا يكون مريداً للطاعة إلا ويفعلها.

الرابع: أن يقـال لـه أنت متمكـن مـن الإيمان قادر عليـه فلـو أردته فعلتـه، وإنما لم تؤمن لعدم إرادتك لـه لا لعجزك عنـه وعدم قدرتك عليه، فإن قال: قل لله يجعلني مـريداً للإيمان، قيل له: إن كنـت تطلـب منه ذلك حقيقة فأنت مريد للإيمان، وإن لم تطلب ذلك حقيقة فأنت كاذب في قولك، فإن قال فكيف يأمرني بما لم يجعلني مـريداً له؟ لم يكـن هذا طلباً للإرادة بل مجرد عنـاد ومكـابرة ومخاصمـة، ومثل هذا ليس على الـرسول جوابه ولا في ترك جوابه انقطاع، لأنه عنيد مكابر في المحسوس، وجوابه حينئـذ ليس إلا السيف والجهاد فيه، ولذلك شرع اللّه تعالى الجهاد لقمـع أهل العناد، وردع المكابر من العباد.[1]

---

(١) الجواب الخامـس كلـه من كلام شيـخ الإسلام ابن تيميـة رحمـه الله في منهاج السنة النبوية (٣/٦٥-٧٢) مع اختصار من المؤلف وزيادة منه للايضاح والبيان.

الخاتمـــة

اعلم أن في قوله تعـالى: ﴿**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**﴾[(١)] دقة وخفـاء، فـإن ظاهر تفسيره واضـح جلي وحقيقـة معنـاه غـامض خفي، فإنه إثبـات للرمي ونفي له، وهمـا متضادان في الظاهر ما لم يفهـم أنه رمى من وجه، ولم يرم من وجه، ومن الوجه الذي لم يرم رمى الله تعالى، وبعضهم يقول: ﴿**وما رميت**﴾ حقيقة ﴿**إذ رميت**﴾ مجازاً ﴿**ولكن اللّه رمـى**﴾ حقيقة، وقـد احتـج بعض المثبته للقـدر بهذه الآية على أن اللّـه تعـالى خالق أفعال العباد، وبعضهم توهم أنه تعالى هو الموصوف بذلك حقيقة لظاهر هذه الآية ظنـاً منـه أنه تعالى لما خلـق الـرامي والرمي كان سبحـانه هـو الـرامي في الحقيقة[(٢)]، وهـذا غلط بلاريب، فإنهم متفقون على أن العـاصي هو المتصف بالمعصية والمذموم عليها، فإن الأفعال يوصف بها من قامت به لا من خلقها، فإن الله تعالى لا تقوم به أفعال العباد ولايتصف بها ولايعـود إليه أحكامها التي تعـود إلى موصوفاتها وإذا كان مالا يتعلق بالإرادة والاختيـار كالطعوم

---

(١) سورة الأنفال: آية (١٧).

(٢) وهـذا يقـول به الجبرية فهم استـدلوا بهـذه الآية وقالوا: إنهـا تنفـى الفعل عن العبـد وتثبتـه لله تعالى، فـالله سبحانه وتعالى نفــى الـرمي عن نبيه ﷺ وأثبته لنفسه وهذا يدل على أنه لاصنع للعبد في ذلك فهو مجبور على فعله لاخيار له في ذلك. قال ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية (٦٤٢/٢): فأما ما استدلت به الجبرية مـن قوله تعـالى: ﴿**ومارميت إذ رميت ولكـن اللـه رمـى**﴾ فهو دليـل عليهم، لأنه تعالى أثبـت لرسوله ﷺ رمياً بقوله "إذ رميت" فعلم أنه المثبـت غير المنفـي، وذلك أن الرمي له ابتـداءً وانتهاء، فابتداؤه الحذف، وانتهـاؤه الإصابة، وكل منها يسمى رميا، فالمعنى -حينئذ- والله تعالى أعلم-: وماأصبت إذ حذفت، ولكن الله أصاب". شرح العقيدة الطحاوية (٦٤٢/٢).

والألوان توصف بها محالها لاخالقها في محالها فكيف الأفعال الاختيارية.

ولهذا قال بعض المحققين: إن أفعال العباد مخلوقة لله وهي فعل العبد، وإذا قيل هي فعل الله، فالمراد أنها مفعولة لا أنها هي الفعل الذي هو مسمى المصدر.

فإن الجمهور يقولون: إن الله خالق أفعال العباد كلها، والخلق عندهم ليس هو المخلوق، فيفرقون بين كون أفعال العباد مخلوقة مفعولة للرب، وبين فعله الذي هو المصدر، فإنها فعل العبد بمعنى المصدر وليست فعلاً للرب بهذا الاعتبار، بل هي مفعولة له والرب لايتصف بمفعولاته، وهنا يلتبس الحال على من لايفرق بين فعل الرب ومفعوله(١) كما يقول ذلك الجهم وموافقوه، وقد تقرر الفرق بين ماخلقه صفة لغيره وبين مااتصف هو به في نفسه، والفرق بين إضافة المخلوق إلى خالقه وإضافة الصفة إلى الموصوف بها

قال ابن تيمية: "وهذا الفرق معلوم باتفاق العقلاء، فإنه تعالى إذا خلق لغيره حركة لم يكن هو المتحرك بها، وإذا خلق للرعد ونحوه صوتاً لم

---

(١) الفرق بين الخلق والمخلوق، والفعل والمفعول الذى قال به وبينه أهل السنة والجماعة هو الذي يزيل اللبس ويحل الاشكال، ومن لم يفرق بين ماينسب إلى الخالق سبحانه وتعالى ويضاف إليه وبين ماينسب إلى المخلوق ويضاف إليه يقع في الاضطراب والضلال، فالمعتزلة لم يتصوروا أن يكون الله تعالى هو الخالق للفعل والعبد هو الفاعل له، فقالوا: إن العبد هو الخالق للفعل والمحدث له لأنه هو الفاعل له.
والجبرية ومن تبعهم قالوا: إن الله هو الخالق للفعل فلابد أن يكون هو الفاعل له، والحق ماقال به أهل السنة والجماعة.
ولمزيد من التفصيل انظر خلق أفعال العباد للبخارى، ومجموع الفتاوى (١٢١/٨-١٢٣) وفتح البارى لابن حجر (٤٣٩/١٢) وما بعدها.

يكـن هو المتصف بذلك الصـوت، وإذا خلق الألوان في النبـات والحيـوان والجماد لم يكن سبحانه هو المتصف بتلك الألوان، وإذا خلـق في غيره علماً وقدرة وحياة أو كذباً أو كفراً لم يكن هو المتصف بذلك، كما إذا خلق فيه طوافاً وسعياً ورمي جمار وصيـاماً وركـوعاً وسجوداً لم يكـن هـو الطـائف والساعي والراكع والساجد والرامي بتلك الجمار".[١]

قال:[٢] "وقوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾[٣] معناه ماأصبت إذ حذفت ولكن اللـه هـو الذي أصاب، فـالمضاف إليـه[٤] الحذف باليد، والمضاف إلى الله الإيصال إلى العدو وإصابتهم به.[٥]

قـال: "وليس المراد بذلك مـا يظنه بعض الناس أنه لما خلـق الـرامي والرمي كان هو الرامي في الحقيقة، فإن ذلك لو كان صحيحـاً لكونه خالقاً لرميه لا طرد ذلك في سائر الأفعـال. ويقـال: ومـامشيـت ولكـن اللـه مشي ومـالطمت ولكن الله لطم وماضربت بالسيف ولكن اللـه ضرب، وماركبت الفرس ولكن الله ركب، وماصمت وماصليت وماحججـت ولكن الله صام وصلى وحج".[٦]

قال: "ومن المعلوم بالضرورة بطلان هذا كله".

قال: وهذا من غلو المثبتين للقدر، ولهذا يروى عـن عثمان بن عفان

---

(١) منهاج السنة النبوية (٣/٢١٧-٢١٨).
(٢) القائل هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.
(٣) سورة الأنفال: آية (١٧).
(٤) وهو الرسول الله ﷺ.
(٥) منهاج السنة النبوية (٣/٢١٨).
(٦) المصدر السابق (٣/٣١٨-٣١٩).

أنهم كانوا يرمونه بالحجارة لما حُصِر، فقال لهم: لماذا ترمونني؟ فقالوا: مارميناك ولكن الله رماك، فقال: لو أن الله رماني لأصابني ولكن أنتم ترمونني وتخطئوني[١]....."[٢].

قال: وهذا مما احتج به القدرية النفاة على أن الصحابة لم يكونوا يقولون إن الله خالق أفعال العباد كما احتج بعض المثبتة بقوله تعالى: ﴿ولكن الله رمى﴾[٣] وكلاهما خطأ.[٤]

انتهى كلام ابن تيمية رحمه الله.

قلت: والظاهر أن الضابط فيما يضاف إليه تعالى وينسب له هو ماانفرد سبحانه بإيجاده من غير فعل للعبد فيه ولو صورة وهو المسبب دون السبب المتصف به العبد.[٥] فيقال مثلاً: وما قتلت ولكن الله قتل، لأن

---

(١) أخرج هذا الخبر البخاري في التاريخ الصغير (٤٠/١) بسنده عن حبيب مولى أسيد بن الأخنس قال: بعثني عثمان بن عفان إلى محمد بن عمرو بن حزم: أنا نُرمى من قبلك بالليل، فقال: مانرميه ولكن الله يرميه، فأخبرت، فقال: كذب لو رماني الله ماأخطاني. وأخرجه أيضا الطبري في تاريخه (٣٨٥/٤) وذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٣٩) الجزء الخاص بترجمة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وذكرها أيضا محمد بن يحي الأشعري المتوفى سنة ٧٤١هـ في التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان. وسند الخبر ضعيف جدا. انظر فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه -رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة- قسم التاريخ -الجامعة الإسلامية- تقدم بها لنيل الماجستير الشيخ/ محمد الغبان.

(٢) منهاج السنة النبوية (٣١٩/٣).

(٣) سورة الأنفال: آية (١٧).

(٤) منهاج السنة النبوية (٣١٩/٣).

(٥) قال ابن حزم في الملل والنحل (٩٦/٣): وبيقين يدري كل ذي حس سليم مؤمن بالله تعالى و بالقرآن أن الزرع والرمي والقتل الذي نفاه الله تعالى عن ذاته وعن رسوله ﷺ هو غير الزرع والرمي والقتل الذي أضافه إليهم، لايمكن البتة غير ذلك، لأنه تعالى لايقول إلاالحق، فاذْ ذلك كذلك، فإن الذي نفاه عمن ذكرنا هو خلق كل ذلك واختراعه وإبداعه وتكوينه وإخراجه من عدم إلى وجود، والذي أوجب لهم منه ظهوره فيهم ونسبة ذلك كله إليهم فقط، وبالله تعالى التوفيق".

القتل هو زهوق الروح وهو مسبب عن القتل ناشيء عنه حاصل بفعل الله خاصة، وكذا ماداواك الطبيب أو ماشفاك ولكن الله شفاك، وماشربت ولكن الله أرواك، وماأكلت ولكن الله أشعبك، وماضربت ولكن الله آلم على معنى ما ضربت ضرباً مؤلماً ولكن الله آلم، وما سودت لون الثوب ولكن الله سوده، لأن كل واحد من هذه الأمور سبب والله خالق للسبب بدون مشاركة صورية كما في قوله تعالى: ﴿**ولكن الله رمى**﴾ فإن الإصابة مسببة عن الرمي الذي هو السبب، ولاينازع أحد في أن الأمر بالأسباب الموجبة كالقتال والتداوي ليس أمراً بمسبباتها الذي هو الزهوق والشفاء، وأما من حيث الخلق فيضاف إليه سبحانه كل مخلوق لأن من المعلوم أن كل مخلوق يقال هو من الله بمعنى أنه خلقه بائناً عنه لابمعنى أنه قام به واتصف به.

هذا وقد توهم كثير من زنادقةالمتصوفةمن نحو قوله تعالى: ﴿**ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى**﴾ وقوله تعالى: ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله**﴾(١) أن العبد هو عين الرب(٢) تعالى الله عن ذلك.

قال العلامة المفنن ذو الوزارتين أبو عبدالله محمد بن الخطيب وزير

---

(١) سورة الفتح: آية (١٠).

(٢) وهذا بناءً على قولهم بوحدة الوجود التي سبق بيانها وأن الوجود كله هو أسماء الله وصفاته -تعالى الله عمايقولون علواً كبيراً- وقولهم هذا في غاية القبح والبطلان، وكفرهم أشد من كفر النصارى الذين خصوه بعيسى عليه السلام كما قال عبدالعزيز الكناني رحمه الله وغيره من العلماء: "إذا كان المسلمون كفّروا من يقول: إنه حل في عيسى وحده، فمن قال بالحلول في جميع الموجودات أعظم كفراً من النصارى بكثير". درء تعارض العقل والنقل (١٥٦،١٥٥/٦).

سلطان الأندلس[١] في كلامه على رأي أهل الوحدة المطلقة: وارتكبت هذه الطائفة مرتكباً غريباً من القول بالوحدة المطلقة وهاموا به ورمزوا واحتقروا الناس من أجله.

قال: "وتقرير مذهبهم على سبيل الإحاطة لافائدة فيه، وحاصله أن البارى سبحانه هومجموع ماظهر ومابطن وأنه لاشيء خلاف ذلك"، وأطال الكلام هو وغيره من العلماء[٢] على ذلك كما بسطت الكلام عليه في غير هذا الموضع، وسمعت بأذني هذا من بعض مشايخهم.

والحاصل أن هذا القول لم يقله أحد من المتقدمين، وإنما حدث بين المتصوفة المتأخرين، وهو شر من مقالة الفلاسفة، فإنهم أثبتوا وجود واجب الوجود ولم ينازع فيه لامعطل[٣] ولامشرك، إلا أن بعض الناس قالوا: إن

---

(١) أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن سعد بن عبدالله السلماني اللوشي الغرناطي الاندلسي لسان الدين ذو الوزارتين وذو العمرين، أديب، شاعر، مؤرخ، له تصانيف كثيرة منها: "حمل الجمهور على السنن المشهور"، "رقم الحلل في نظم الدول"، "طرفة العصر في دولة بني نصر"، قتل خنقاً عام ٧٧٦هـ.
شذرات الذهب (٢٤٤/٦) والبدر الطالع (١٩١/٢-١٩٤) والأعلام (٢٣٥/٦).

(٢) انظر درء تعارض العقل والنقل (١٤٩/٦-١٦٣).

(٣) المعطل: نسبة إلى التعطيل، والتعطيل هو نفي أسماء الله تعالى وصفاته أو بعضها وإنكار قيامهابذاته، وهوقسمان: تعطيل كلي كتعطيل الجهميةالذين ينكرون أسماء الله وصفاته، وتعطيل جزئي كتعطيل الأشاعرة الذين ينفون بعض صفات الله. ومن التعطيل تعطيل الفلاسفة الذين قالوا بقدم المخلوقات وزعموا أنها تتصرف بطبيعتها، وأول من ابتدع التعطيل في دين الله عز وجل الجعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان الذى تنسب إليه الجهمية، وقيل إن الجعد آخذ مقالته عن أبان بن سمعان وأخذها أبان من طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم الذى سحر النبي ﷺ.
مجموع الفتاوى (٣٢٧/٥،٣٢٨) وشرح لوامع الأنوار (٢٣/١) فتح رب البرية بتلخيص الحموية لابن عثيمين (٥٥) وشرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس رحمه الله (٢٠).

هذا العالم حدث بنفسه، وليس هذا بقول معروف لطائفة يذبون عنه، فإن حدوث الحوادث بلا محدث بطلانه من أبين العلوم الضرورية غايته أن الفلاسفة تقول إن الفلك متحرك حركة اختيارية بسببها تحدث الحوادث من غير أن يكون قد حدث من جهة الله مايوجب حركته، فإن حركة الفلك عندهم بالاختيار كحركة الإنسان، فلم يثبتوا لحركة الفلك محدثاً أحدثها غير الفلك، كما لم تثبت القدرية لأفعال الحيوان محدثاً أحدثها غير الحيوان، ولهذا كان الفلك عندهم حيواناً كبيراً يتحرك للتشبيه بالعلة الأولى كحركة المعشوق للعاشق فذلك المعشوق المحبوب هو المحرك لكون المتحرك أحبه لا لكونه أبدع الحركة ولا فعلها.

ولهذا قالوا: إن الفلسفة هي التشبيه بالإله على حسب الطاقة، وفي الحقيقة ليس عندهم إلهاً للعالم ولا رباً للعالمين، بل غاية ما يثبتونه أن يكون شرطاً في وجود العالم وأن كمال المخلوق أن يكون متشبهاً به.

هذا ومقالة من يقول: إن الرب عين العبد هي شر من مقالة هؤلاء الفلاسفة، وقد دخل كثير من أهل الاسلام في طرق مبتدعة يطول ذكرها، وأخرجوا من التوحيد ماهو منه كتوحيد الإلهية وإثبات حقائق أسماء الله وصفاته، ولم يعرف كثير منهم من التوحيد إلا توحيد الربيوبية وهو أن الله رب كل شيء وخالقه، وهذا التوحيد كان يقر به المشركون[1] الذين

---

(١) ومع ذلك لم ينفعهم إقرارهم شيئا ولم يدخلهم في الإسلام، لأنهم لم يوحدوا الله تعالى بل أشركوا به في عبادته كما قال تعالى: ﴿**والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾ ولذلك قاتلهم الرسول ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم حتى أقروا بتوحيد الألوهية وعبدوا الله وحده لاشريك له.

قال الله عنهم ﴿**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله**﴾[١] وقال تعالى عنهم: ﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**﴾[٢].

قالت طائفة من السلف: يقول لهم من خلق السموات والأرض؟ فيقولون: الله وهم مع هذا يعبدون غيره، وإنما التوحيد الذي أمر الله به العباد هو توحيد الألوهية[٣] المتضمن لتوحيد الربوبية بأن يعتقد إثبات الله وصفاته ويعبده ولا يشرك به شيئاً، والعبادة تجمع غاية الحب وغاية الذل له سبحانه.

رزقنا الله تعالى ذلك وثبتنا عليه آمين.

تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه قبيل ظهر آخر
يوم من شهر شعبان من شهور سنة اثنتين
وثلاثين وألف من الهجرة النبوية
على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

---

(١) سورة لقمان: آية (٢٥).

(٢) سورة يوسف: آية (١٠٦).

(٣) ويسمى بتوحيد العبادة وبتوحيد القصد والطلب وهو أهم أنواع التوحيد وأعظمها وهو متضمن لها ولذا فهو جدير بالعناية والاهتمام لأنه الغاية العظمى والمقصد الأساسي الذى من أجله خلق الله الخلق وأرسل الرسل وأنزل وشرع الجهاد، وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار وأهل شقاوة وأهل سعادة، وقد وردت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة توجب على العباد أن يفردوا الله سبحانه وتعالى بالعبادة ولايشركوا به شيئا، وهو أول أمر في كتاب الله عز وجل كما قال تبارك وتعالى: ﴿**ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون**﴾ [سورة البقرة: آية ٢١-٢٢].

الفهـــارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس الآثار

فهرس الأعلام المترجم لهم

الأعلام المترجم لهم	الصفحة

فهرس الفرق والطوائف والمصطلحات والكلمات الغريبة

الفرق والطوائف والمصطلحات	الصفحة
آجن.	٦
الإباحية.	٧٦
الاتحاد العام.	٥٩
الاستطاعة.	٩١
الامامية.	٩١
أهل الحلول.	٥٩
الباطنية.	٦٠
البراهمة.	١٢٧
التصوف.	٥٧
التناسخ.	١٢٦
الجبرية.	٩٢
الجذمى.	٩٦
الجهمية.	٦١
حذق.	١٠٢
حزر.	٨٢
الدراويش.	٥٣
الرافضة.	٨١
الزنادقة.	٦٤
الزيدية.	٩٢
السام.	٦٩
الشيعة.	٨٤
العرض.	١٠٧
الفلاسفة.	٦١

فهرس المصادر والمراجع

١- **الابانة عن أصول الديانة:**
لأبي الحسن الأشعري، تقدم الشيخ: حماد الأنصاري، مطابع الجامعة الأسلامية، الطبعة الثانية، سنة (١٤٠٥هـ).

٢- **الابانة عن شريعة الفرق الناجية:**
لابن بطة العكبري ت (٣٨٧هـ) دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٩هـ)، تحقيق: رضا بن نعسان معطى.

٣- **اتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة:**
للشيخ حمود بن عبدالله التويجرى، طبع مطابع الرياض، الطبعة الأولى، سنة (١٣٩٤هـ).

٤- **اتحاف الورى بأخبار أم القرى:**
ابن فهد المكى ت (٨٨٥هـ)، تحقيق: فهيم شلتوت، من منشورات مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى سنة (١٤٠٤هـ).

٥- **اثبات صفة العلو:**
لابن قدامة ت (٦٢٠هـ)، تحقيق: د/ أحمد بن عطية الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٩هـ).

٦- **اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية:**
ابن قيم الجوزية ت (٧٥١هـ) تحقيق: د/ عواد عبدالله المعتق، مطابع الفرزدق، الرياض، المطبعة الأولى، سنة (١٤٠٨هـ).

٧- **الاحتجاج بالقدر:**
ابن تيمية ت (٧٢٨هـ)، ضمن مجموعة الرسائل الكبري، دار الباز، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، سنة (١٣٩٢هـ).

٨- **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان:**
ترتيب: الأمير علاء الدين الفاسى، تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٧هـ).

٩- **إحياء علوم الدين:**
للغزالى ت (٥٠٥هـ)، مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى، القاهرة.

١٠- **الإحكام في الأحكام:**
للآمدى ت (٦٣١)، تعليق: عبدالرزاق عفيفى، مؤسسة النور، الطبعة الأولى، سنة (١٣٨٧هـ).

١١- **الإختلاف في اللفظ والرد على الجهمية:**
لأبي الوليد الأزرقي ت (٢٤٤هـ)، تحقيق: رشدى الصالح، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت.

١٢- **اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى:**
ابن رجب ت (٧٩٥هـ)، مكتبة دار الأقصى، الكويت، سنة (١٤٠٦هـ)، تحقيق: جاسم فهد الدوسري.

١٣- **الارشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد:**
لأبي المعالي الجوينى ت (٤٧٨هـ)، تحقيق: أسعد تميم، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، (١٤٠٥هـ).

١٤- **الأسماء والصفات:**
للبيهقى ت (٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٥هـ).

١٥- **أصول الدين:**
لعبدالقاهر البغدادي ت (٤٢٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، سنة (١٤٠٠هـ).

١٦- **الاعتقاد:**
للبيهقي ت (٤٥٨هـ)، المطبعة العربية، باكستان.

١٧- **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين:**
للرازى ت (٦٠٦هـ)، مراجعة وتحرير: علي سامي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، سنة (١٤٠٢هـ).

١٨- **الأعلام:**
للزركلي ت (١٢٩٥هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، سنة (١٩٨٠م).

١٩- **اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان:**
ابن القيم ت (٧٥١هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، طبعة الحلبي، القاهرة، سنة (١٣٨١هـ).

٢٠- **أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات:**
للعلامة: مرعي بن يوسف الحنبلي ت (١٠٣٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢١- **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم:**
ابن تيمية ت (٧٢٨هـ)، تحقيق: د/ ناصر بن عبدالكريم العقل، مطابع العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٤هـ).

٢٢- **الأنساب:**
السمعاني ت (٥٦٢هـ)، الناشر: محمد امين دمج، بيروت، سنة (١٤٠٠هـ).

٢٣- **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون:**
البغدادي ت (١٣٣٩هـ)، طبع استانبول، سنة (١٩٥١م).

٢٤- **الإيمان:**
ابن تيمية ت (٧٢٨هـ)، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة (١٣٩٩هـ).

٢٥- **بدائع الفوائد:**
ابن قيم الجوزية ت (٧٥١هـ)، تصحيح وتعليق: محمود غانم غيث، نشر مكتبة القاهرة، الطبعة الثانية، سنة (١٣٩٢هـ).

٢٦- **البداية والنهاية:**
ابن كثير ت (٧٧٤هـ)، اعتناء: عبدالعزيز النجار، مكتبة الأصمعي وغيرها، الرياض.

٢٧- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع:**
الشوكاني ت (١٢٥٠هـ)، مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة (١٣٤٨هـ).

٢٨- **البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان:**
للسكسكي ت (٦٨٣هـ)، تحقيق: بسام علي العموش، مكتبة ودار المنار، الأردن، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٨هـ).

٢٩- **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس:**
للضبي ت (٥٩٩هـ)، دار الكاتب العربي، بيروت، سنة (١٩٦٧م).

٣٠- **بغية الوعاة:**
للسيوطي ت (٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، سنة (١٣٩٩هـ).

٣١- **بيان تلبي الجهمية أو نقص التأسيس:**
لابن تيمية ت (٧٢٨هـ)، تصحيح: محمد بن عبدالرحمن بن القاسم، مطبعة الحكومة بمكة، سنة (١٣٩٢هـ).

٣٢- **تاج العروس في جواهر القاموس:**
لمحمد مرتضى الزبيدي ت (١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، طبعة وزارة الاعلام الكويتية، صدر الجزء الأول عام (١٣٨٥هـ).

٣٣- **تاريخ بغداد:**
الخطيب البغدادي ت (٤٦٣هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.

٣٤- **تاريخ الثقات:**
العجلى ت (٢٦١هـ)، تحقيق: عبدالمعطى قلعجى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٥هـ).

٣٥- **تاريخ جرجان:**
للسهمى ت (٤٢٦هـ)، عالم الكتب، بيروت، سنة (١٤٠١هـ).

٣٦- **التاريخ الصغير:**
للبخاري ت (٢٥٦هـ)، طبعة مصورة عن الطبعة الهندية، الناشر: احياء السنة، باكستان.

٣٧- **التاريخ الكبير:**
البخارى ت (٢٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، طبعة مصورة عن طبعة الهند.

٣٨- **تاريخ دمشق:**
لابن عساكر، ترجمة عثمان بن عفان، تحقيق: سكينة الشهابى، من مطبوعات مجمع اللغة العربية.

٣٩- **تأويل مختلف الحديث:**
ابن قتيبة ت (٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الجيل.

٤٠- **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرقة الهالكة:**
للاسفرائيني ت (٤٧١)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٣هـ).

٤١- **تحفة الأشراف:**
للمزى ت (٧٤٢هـ)،تحقيق: عبدالصمد شرف الدين، بومباي، الهند سنة(١٣٨٤هـ).

٤٢- **التحفة المهدية شرح التدمرية:**
لابن رجب ت (٧٩٥هـ)، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، سنة (١٤٠٩هـ).

٤٣- **تذكرة الحفاظ:**
للذهبي ت (٧٤٨هـ)، تصحيح: عبدالرحمن المعلمي، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٤٤- **التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة:**
للقرطبي ت (٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد حجازي، مكتبة الكليات الأزهرية، سنة (١٤٠٠هـ).

٤٥ **التصوف والمنشأ والمصادر:**
إحسان إلهى ظهير ت (١٤٠٧هـ)، إدارة ترجمان السنة، باكستان، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٦هـ).

٤٦- **تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأربعة:**
لابن حجر ت (٨٥٢هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.

٤٧- **التعريفات:**
للجرجاني ت (٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٣هـ).

٤٨- **تعظيم قدر الصلاة:**
لمحمد بن نصر المروزي ت (٢٩٤هـ)، تحقيق: عبدالرحمن الفريوائي، الناشر: مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٦هـ).

٤٩- **تفسير القرآن العظيم:**
ابن كثير ت (٧٧٤هـ)، دار المعرفة، بيروت، سنة (١٤٠٣هـ).

٥٠- **تقريب التهذيب:**
ابن حجر ت (٨٥٢هـ)، دار الكتب الاسلامية، باكستان، الطبعة الأولى، سنة (١٣٩٣هـ).

٥١- **تلبيس إبليس:**
لابن الجوزى ت (٥٩٧هـ)، دار الطباعة المنيرية، مصر، سنة (١٣٩٦هـ).

٥٢- **تلخيص المستدرك على الصحيحين:**
الذهبي ت (٧٤٨هـ)، بذيل المستدرك للحاكم، دار الكتاب العربى، بيروت.

٥٣- **التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان:**
لمحمد بن يحي الأشعرى ت (٧٤١هـ)، تحقيق: د. محمود يوسف زايد، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٥هـ).

٥٤- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد:**
لابن عبدالبر ت (٤٦٣هـ)، طبع وزارة الأوقاف بالمملكة المغربية، تحقيق: جماعة من العماء.

٥٥- **تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين:**
لابن النحاس ت (٨١٤هـ)، مكتبة الحرمين الرياض، الطبعة الثانية، سنة (١٤٠٦هـ).

٥٦- **تنبيه الغبى إلى تكفير ابن عربى**
البقاعي، تحقيق: عبدالرحمن الوكيل، طبع السنة المحمدية،القاهرة،سنة(١٣٧٣هـ).

٥٧- **تهذيب التهذيب:**
ابن حجر ت (٨٥٢هـ)، طبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، سنة (١٣٢٦هـ).

٥٨- **تهذيب الكمال:**
المزى ت (٧٤٢هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٣هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف.

٥٩- **التوحيد:**
لابن منده ت (٣٩٥هـ)، تحقيق: د/ علي ناصر فقيهي، طبع مطابع الجامعة الإسلامية، الطبعة الأولى.

٦٠- **تيسير العزيز الحميد:**
سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ت (١٢٣٣هـ)، المكتب الاسلامى، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة (١٣٩٧هـ).

٦١- **الثقات**
لابن حبان ت (٣٥٤هـ)، دائرة المعارف العثمانية، الهند، سنة (١٣٩٨هـ).

٦٢ **جامع الرسائل:**
ابن تيمية ت (٧٢٨هـ)، تحقيق: د/ محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية (١٤٠٥هـ)، مطبعة المدني، جدة.

٦٣- **الجامع لأحكام القرآن:**
القرطبي ت (٦٧١هـ)، دار الكتاب العربي، القاهرة، سنة (١٣٨٧هـ).

٦٤- **جامع البيان في تأويل القرآن:**
ابن جرير الطبري ت (٣١٠هـ)، طبعة الحلبي، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة (١٣٨٨هـ).

٦٥- **الجرح والتعديل:**
لابن أبي حاتم ت (٣٢٧هـ)، دائرة المعارف العثمانية، الهند، طبع سنة (١٣٧٢هـ).

٦٦- **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافعي:**
للعلامة: ابن قيم الجوزية ت (٧٥١هـ)، مكتبة الرياض الحديثة، سنة (١٣٩٢هـ).

٦٧- **الجوهر المنضد في طبقات متأخرى الامام أحمد:**
لابن عبدالهادى ت (٩٠٩هـ)، تحقيق: عبدالرحمن العثيمين، مكتبة الخانجى، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٧هـ).

٦٨- **حادى الأرواح إلى بلاد الافراح:**
لابن القيم ت (٧٥١هـ)، مطبعة النهضة الحديثة، الطبعة الثالثة، سنة (١٣٩٢هـ).

٦٩- **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة:**
للسيوطي ت (٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابى الحلبى، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة (١٣٨٧هـ).

٧٠- **الحسنة والسيئة:**
لابن تيمية ت (٧٢٨هـ)، دار المعرفة، الطبعة الثانية، سنة (١٣٩٨هـ).

٧١- **حلية الأولياء:**
لأبي نعيم الأصبهاني ت (٤٣٠هـ)، دار الفكر، بيروت.

٧٢- **الخطط:**
للمقريزى ت (٨٤٥هـ)، الناشر: دار التحرير للطبع والنشر عن طبعة بولاق، سنة (١٢٧٠هـ).

٧٣- **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر:**
تأليف: محمدأمين بن فضل الله المحبي ت (١١هـ)، مكتبة خياط ،الطبعة الأولى ،بيروت.

٧٤- **خلق أفعال العباد:**
للبخارى ت (٢٥٦هـ)، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، دار عكاظ للطباعة والنشر، الرياض، الطبعة الثانية.

٧٥- **درء تعارض العقل والنقل:**
لشيخ الإسلام ابن تيمية ت (٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠١هـ).

٧٦- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور:**
للسيوطي ت (٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، سنة (١٤٠٣هـ).

٧٧- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة:**
لابن حجر ت (٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مصر، الطبعة الثانية، سنة (١٣٨٥هـ).

٧٨- **ذيل العبر:**
للحسيني ت (٧٦٤هـ)، تحقيق: محمد سعيد بن بسيونى زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٥هـ).

٧٩- **الرد على الجهمية:**
الدارمي ت (٢٥٥هـ)، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الرابعة، سنة (١٤٠٢هـ).

٨٠- **الرسالة التدمرية:**
شيخ الإسلام ابن تيمية ت (٧٢٨هـ)، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة (١٣٩٧هـ).

٨١- **رسالة في الرد على الرافضة:**
لأبي حامد المقدسي ت (٨٨٨هـ)، تحقيق: عبدالوهاب خليل، الدار السلفية، الهند، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٣هـ).

٨٢- **الروح:**
ابن قيم الجوزية ت (٧٥١هـ)، تحقيق: بسام علي سلامة العموشي، دار ابن تيمية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٦هـ).

٨٣- **الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم:**
لابن الوزير ت (٨٤٠هـ)، دار المعرفة، بيروت، سنة (١٣٩٩هـ).

٨٤- **روض البشر في أعيان القرن الثالث عشر:**
تأليف: محمد جميل الشطي ت (١٣٧٩هـ)، دمشق، سنة (١٣٦٣هـ).

٨٥- **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة:**
ابن حميد ت (١٣٩٥هـ)، مكتبة الإمام أحمد، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٩هـ).

٨٦- **سلسلة الأحاديث الصحيحة:**
محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الاسلامي، دمشق، بيروت، الدار السلفية، الكويت، المكتبة الاسلامية، الاردن، الطبعة الأولى.

٨٧- **سلسلة الأحاديث الضعيفة:**
الألباني، المكتبة الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى.

٨٨- **سنن الدارمي:**
الدارمي ت (٢٥٥هـ)، طبعة الثانية، سنة (١٩٥٦م).

٨٩- **سنن ابن ماجه:**
ابن ماجه ت (٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت، سنة (١٣٩٥هـ).

٩٠- **سنن أبي داود:**
أبو داود السجستاني ت (٢٧٥هـ)، تحقيق: عزة عبيد الدعاس وعادل السيد، دار الحديث، حمص، الطبعة الأولى، سنة (١٣٩٣هـ).

٩١- **سنن الترمذي:**
الامام الترمذي ت (٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، محمد فؤاد عبدالباقي، إبراهيم عطوة عوض، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة (١٣٩٥هـ).

٩٢- **سنن النسائي:**
النسائي ت (٣٠٣هـ)، المكتبة السلفية، لاهور، الطبعة الثانية، سنة (١٣٩٦هـ).

٩٣- **سنن الدار قطني:**
الدار قطني ت (٣٨٥هـ)، اعتناء: عبدالله هاشم يماني، المدينة، سنة (١٣٨٦هـ).

٩٤- **السنن الكبرى:**
النسائي ت (٣٠٣هـ)، تحقيق: د/ عبدالغفار البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤١١هـ).

٩٥- **السنن الكبرى:**
البيهقي ت (٤٥٨هـ)، دار الفكر، بيروت.

٩٦- **السنة:**
عبدالله بن أحمد بن حنبل ت (٢٩٠هـ)، تحقيق: د/ محمد سعيد القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٦هـ).

٩٧- **السنة:**
ابن أبي عاصم ت (٢٨٧هـ)، تخريج الألباني، المكتب الاسلامي بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٠هـ).

٩٨- **السنة:**
لمحمد بن نصر المروزي ت (٢٩٤هـ)، دار الثقافة والنشر، الرياض.

٩٩- **سير أعلام النبلاء:**
الذهبي ت (٧٤٨هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠١هـ)، مجموعة من المحققين.

١٠٠- **شذرات الذهب:**
ابن العماد الحنبلي ت (١٠٨٩هـ)، دار المسيرة، بيروت.

١٠١- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة:**
للالكائي ت (٤١٨هـ)، تحقيق: د/أحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.

١٠٢- **شرح الأصول الخمسة:**
للقاضي عبدالجبار ت (٤١٥هـ)، تحقيق: عبدالكريم عثمان، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الأولى، سنة (١٣٨٤هـ).

١٠٣- **شرح حديث النزول:**
ابن تيمية ت (٧٢٨هـ) المكتب الاسلامى، بيروت، الطبعة الخامسة، سنة (١٣٩٧هـ).

١٠٤- **شرح السنة:**
للبربهارى ت (٣٢٩هـ)، تحقيق: د/ محمد سعيد بن سالم القحطاني، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، الدمام، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٨هـ).

١٠٥- **شرح السنة:**
للبغوي ت (٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، و زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، سنة (١٩٧١م).

١٠٦- **شرح صحيح مسلم:**
النووى ت (٦٧٦هـ)، القاهرة، سنة (١٣٤٩هـ).

١٠٧- **شرح العقيدة الطحاوية:**
ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: د. عبدلله التركي وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، سنة (١٤١١هـ).

١٠٨- **شرح العقيدة الواسطية:**
محمد خليل هراس، مراجعه: عبدالرزاق عفيفي، طبع مركز شئون الدعوة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الرابعة.

١٠٩- **شرح الكافية الشافعية:**
لابن مالك ت (٦٧٢هـ)، تحقيق: د/ عبدالمنعم أحمد هريدى، دار المأمون للتراث.

١١٠- **شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري:**
للشيخ عبدالله الغنيمان، توزيع مكتبة الدار بالمدينة المنورة، طبع مكتبة المدني، جدة، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٥هـ).

١١١- **شرح لمعة الاعتقاد:**
للشيخ: محمد صالح العثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٣هـ).

١١٢- **شرح سنن أبي داود:**
للعلامة: ابن القيم ت (٧٥١هـ)، مطبوع على حاشية عون المعبود الطبعة الثانية، الناشر: عبدالمحسن صاحب المكتبة السلفية.

١١٣- **شرح المواقف:**
للجرجاني ت (٨١٦هـ)، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، سنة (١٣٢٥هـ).

١١٤- **الشريعة:**
للآجري ت (٣٦٠هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٣هـ).

١١٥- **شعب الإيمان:**
تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٠هـ).

١١٦- **شفاء العليل:**
ابن قيم الجوزية ت (٧٥١هـ)، تحرير: الحساني عبدالله، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة (١٩٧٥م).

١١٧- **الشهادة الزكية:**
لمرعى بن يوسف الكرمى ت (١٠٣٣هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٤هـ)، تحقيق: نجم عبدالرحمن خلف.

١١٨- **الصحاح:**
للجوهري ت (٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة الثانية، سنة (١٤٠٢هـ).

١١٩- **صحيح البخاري:**
البخاري ت (٢٥٦هـ)، المكتبة الاسلامية، تركيا، سنة (١٩٨١م).

١٢٠- **صحيح الجامع الصغير وزيادته:**
الألباني، المكتب الاسلامي، بيروت.

١٢١- **صحيح ابن خزيمة:**
ابن خزيمة ت (٣١١هـ)، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمى المكتب الاسلامي، الطبعة الأولى، سنة (١٣٩٩هـ).

١٢٢- **صحيح مسلم:**
مسلم بن الحجاج ت (٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت، سنة (١٣٧٤هـ).

١٢٣- **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة:**
لابن القيم ت (٧٥١هـ)، تحقيق: د/ علي بن محمد الدخيل الله دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٨هـ).

١٢٤- **صيد الخاطر:**
لابن الجوزى ت (٥٩٧هـ) المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

١٢٥- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع:**
السخاوي ت (٩٠٢هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت.

١٢٦- **طبقات الحفاظ:**
السيوطى ت (٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة (١٤٠٣هـ).

١٢٧- **طبقات الحنابلة:**
ابن أبي يعلى ت (٥٢٥هـ)، دار المعرفة، بيروت.

١٢٨- **طبقات الشافعية الكبرى:**
السبكي ت (٧٧١هـ)، تحقيق: محمود الطناوحي، وعبدالفتاح الحلو، طبعة الحلبي، الطبعة الأولى، سنة (١٣٨٣هـ).

١٢٩- **الطبقات الكبرى:**
لابن سعد ت (٢٣٠هـ)، دار صادر، بيروت.

١٣٠- **طبقات المفسرين:**
السيوطى ت (٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٣هـ).

١٣١- **طبقات المفسرين:**
الداودى ت (٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٣هـ).

١٣٢- **العبر في خبر من غبر:**
الذهبي ت (٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٥هـ).

١٣٣- **العبودية:**
لشيخ الإسلام ابن تيمية ت (٧٢٨هـ)، طبع ونشر: رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد.

١٣٤- **العقائد الشيعية:**
لناصر الدين شاه، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٧هـ).

١٣٥- **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين:**
الفاسي ت (٣٨٢هـ)، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، سنة (١٣٧٩هـ).

١٣٦- **عقيدة السلف وأصحاب الحديث:**
لأبي عثمان الصابوني ت (٤٤٩هـ)، ضمن مجموعة الرسائل الكمالية في التوحيد، نشر مكتبة المعارف، الطائف.

١٣٧- **عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين:**
تأليف الشيخ صالح البليهي، المطابع الأهلية، الرياض، الطبعة الثانية، سنة (١٤٠٤هـ).

١٣٨- **العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية:**
لإمام الحرمين الجوينى ت (٤٧٨هـ)، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى، سنة (١٣٩٨هـ)، تحقيق: د. أحمد حجازى السقا.

١٣٩- **العلو للعلي الغفار:**
الـذهبي ت (٧٤٨هـ)، صححه: عبـدالرحمن محمد عثمان، المكتبـة السلفية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، سنة (١٣٨٨هـ).

١٤٠- **عنوان المجد في تاريخ نجد:**
لعثمـان بن بشر ت (١٢٩٠هـ)، تحقيق: عبدالرحمن بن عبداللطيـف، الطبعة الثانية، سنة (١٣٩١هـ).

١٤١- **غاية المرام في علم الكلام:**
للآمـدي ت (٦٣١هـ)، تحقيق: حسن محمود عبداللطيف، مطابع الاهـرام التجارية ، القاهرة، سنة (١٣٩١هـ).

١٤٢- **غاية النهاية في طبقات القراء:**
للجـزري ت (٨٨٢هـ)، تحقيق: ج -برحستراسـر-، دار الكتـب العلميـة، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة (١٤٠٢هـ).

١٤٣- **فتح الباری شرح صحيح البخاري:**
ابن حجر ت (٨٥٢هـ)، المكتبة السلفية ومطبعتها، القاهرة، سنة (١٣٨٠هـ).

١٤٤- **فتح رب البرية بتلخيص الحموية:**
لابن عثيمين، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٤هـ).

١٤٥- **فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية في علم التفسير:**
للشـوكانی ت (١٢٥٠هـ)، شركة و مكتبـة و مطبعة مصطفى البـابی الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثانية، سنة (١٣٨٣هـ).

١٤٦- **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد:**
لعبـدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب ت (١٣٨٥هـ)، تحقيـق: عبدالقادر الأرناؤوط، مكتبة: دار البيان، دمشق، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٢هـ).

١٤٧- **فتوح البلدان:**
للبلاذری ت (٢٨٩هـ)، تعليـق: رضـوان محمـد رضـوان، دار الكتـب العلميـة، بيروت، سنة (١٣٩٨هـ).

١٤٨- **الفتوى الحموية:**
لشيخ الاسلام ابن تيمية ت (٧٢٨هـ)، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة (١٣٩٨هـ).

١٤٩- **الفرق بين الفرق:**
لعبدالقاهر، البغدادي ت (٤٣٩هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة المدني، القاهرة.

١٥٠- **الفروق اللغوية:**
لأبي هلال العسكري ت (٣٨٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة (١٤٠١هـ).

١٥١- **الفصل في الملل والأهواء والنحل:**
لابن حزم ت (٤٥٦هـ)، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٢هـ)، تحقيق: د/ عبدالرحمن عميرة، و د/ محمد إبراهيم نصر.

١٥٢- **فهرس الفهارس:**
لعبدالحى الكتابي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥٣- **الفهرسة الأبجدية والترتيب المعجمي:**
د/ محمد سليمان الأشقر، دار البحوث العلمية، الكويت الطبعة الأولى، سنة (١٣٩٢هـ).

١٥٤- **الفوائد:**
لابن القيم ت (٧٥١هـ)، دار الكتب العربية، بيروت، الطبعة الثانية، سنة (١٣٩٣هـ).

١٥٥- **فوات الوفيات:**
لابن شاكرالكتبي ت (٧٦٤هـ)، تحقيق: احسان عباس دارصادربيروت،سنة(١٩٧٣م).

١٥٦- **القضاء والقدر:**
لشيخ الاسلام ابن تيمية ت (٧٢٨هـ)، ضمن مجموعة الرسائل الكبرى، دار احياء التراث العربي، بيروت.

١٥٧- **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة:**
الذهبي ت (٧٤٨هـ)، تحقيق: عزة عبيد عطية، موسى محمد الموسى، دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة (١٣٩٢هـ).

١٥٨- **الكامل في التاريخ:**
ابن الأثير ت (٦٣٠هـ)،دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة (١٤٠٣هـ).

١٥٩- **الكبائر وتبيين المحارم:**
الذهبي ت (٧٤٨هـ)، تحقيق: محى الدين مستو، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٤هـ).

١٦٠- **كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل:**
لابن خزيمة ت (٣١١هـ)، دار الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٨هـ)، تحقيق: د/ عبدالعزيز الشهوان.

١٦١- **كشف الأستار عن زوائد البزار:**
الهيثمي ت (٨٠٧هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، سنة (١٣٩٩هـ).

١٦٢- **كشف الخفا ومزيل الالباس:**
العجلونى ت (١١٦٢هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة (١٣٥١هـ).

١٦٣- **كشف الظنون:**
حاجى خليفة ت (١٠٦٧هـ)، دار الفكر، بيروت، سنة (١٤٠٢هـ).

١٦٤- **الكشاف:**
للزمخشرى ت (٥٣٨هـ)، مطبعة الحلبى، القاهرة، سنة (١٣٨٥هـ).

١٦٥- **كنز العمال:**
المتقى الهندى، عناية: بكرى حياتى، صفوت السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة (١٣٩٩هـ).

١٦٦- **اللباب في تهذيب الأنساب:**
ابن الأثير ت (٦٣٠هـ)، دار صادر، بيروت، سنة (١٤٠٠هـ).

١٦٧- **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ:**
ابن فهد المكى ت (٨٧١هـ)، الناشر: دار احياء التراث العربي، بيروت.

١٦٨- **لسان العرب:**
ابن منظور ت (٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

١٦٩- **لسان الميزان:**
ابن حجر ت (٨٥٢هـ)، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، بدون تاريخ.

١٧٠- **اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع:**
لأبي الحسن الأشعري، صححه وقدم له د. حموده غرابه، مطبعة مصر، شركة مساهمة مصرية، (١٩٥٥م).

١٧١- **لمعة الاعتقاد الهادى إلى سبيل الرشاد:**
لابن قدامة ت (٦٢٠هـ)، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى، تحقيق: بدر البدر.

١٧٢- **لوامع الأنوار البهية:**
السفاريني ت (١١٨٨هـ)، طبع المنار، سنة (١٣٢٥هـ).

١٧٣- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:**
الهيثمى ت (٨٠٧هـ)، دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة (١٤٠٢هـ).

١٧٤- **مجموعة الرسائل الكبرى:**
لابن تيمية ت (٧٢٨هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١٧٥- **مجموعة الرسائل والمسائل:**
لابن تيمية ت (٧٢٨هـ)، تعليق: محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربى، توزيع دار الباز، مكة المكرمة.

١٧٦- **مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية:**
ابن تيمية ت (٧٢٨هـ)، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد.

١٧٧- **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة:**
للعلامة الشيخ: عبدالعزيز بن باز، جمع وترتيب: محمد بن سعد الشويعر، مطابع الفرزدق، الرياض، الطبعة الثانية، سنة (١٤٠٩هـ).

١٧٨- **مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذرى ت (٦٥٦هـ)**
تحقيق: أحمد محمد شاكر، و محمد حامد الفقى، دار المعرفة، بيروت.

١٧٩- **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة:**
اختصار: محمد الموصلى، مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.

١٨٠- **مختصر طبقات الحنابلة - للشطى:**
تأليف: محمد جميل بن عمر الشطى ت (١٣٧٩هـ)، مطبعة الترقى، دمشق سنة (١٣٣٩هـ).

١٨١- **المختصر في أخبار البشر:**
لعمادالدين أبي الفداء ت (٧٣٢هـ)، المطبعة الحسينية المصرية، سنة (١٣٢٥هـ).

١٨٢- **مدارج السالكين:**
ابن القيم ت (٧٥١هـ)، عناية: محمد حامد الفقى، دار الكتاب العربى، بيروت، سنة (١٣٩٢هـ).

١٨٣- **المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل:**
لعبدالقادر بن بدران الدمشقى (ت١٣٤٦هـ)، تحقيق: د/ عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، سنة (١٤٠١هـ).

١٨٤- **مسائل الإمام أحمد بن حنبل:**
رواية ابنه أبي الفضل صالح ت (٢٦٦هـ)، تحقيق: د. فضل الرحمن دين محمد، الدار العلمية، الهند، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٨هـ).

١٨٥- **مسائل الإمام أحمد بن حنبل:**
لابن هانىء ت (٢٧٥هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٠هـ).

١٨٦- **المستدرك على الصحيحين:**
للحاكم ت (٤٠٥هـ)، دار الكتاب العربى، بيروت.

١٨٧- **المستدرك على معجم المؤلفين:**
لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٦هـ).

١٨٨- **المستصفى في علم الأصول:**
للغزالي ت (٥٠٥هـ)، المطبعة الأميرية، مصر، الطبعة الأولى، سنة (١٣٢٤هـ).

١٨٩- **المسند:**
أحمد بن حنبل ت (٢٤١هـ)، المكتب الاسلامى، بيروت، دار صادر، وتحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، سنة (١٩٥٤م).

١٩٠- **مسند أبي يعلى:**
لأبى يعلى الموصلى ت (٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم، دار المأمون، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٤هـ).

١٩١- **مشاهير علماء الأمصار:**
لابن حبان ت (٣٥٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩٢- **المشتبه في اسماء الرجال:**
للذهبى ت (٧٤٨هـ)، تحقيق: علي البجاوى، القاهرة، سنة (١٩٦٢م).

١٩٣- **مصطلحات الفقه الحنبلى:**
تأليف: د/ سالم بن علي الثقفي، الطبعة الأولى، سنة (١٣٩٨هـ).

١٩٤- **مصطلحات الفقه الحنبلى:**
تأليف: د/ سالم بن علي الثقفي، الطبعة الأولى، سنة (١٣٩٨هـ).

١٩٥- **المصنف:**
عبدالرزاق الصنعاني ت (٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمى، المكتب الاسلامى، الطبعة الثانية، سنة (١٤٠٣هـ).

١٩٦- **المصنف:**
ابن أبي شيبة ت (٢٣٥هـ)، تحقيق: مختار أحمد الندوى، الدار السلفية، الهند، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٣هـ).

١٩٧- **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الاصول في التوحيد:**
لحافظ حكمى ت (١٣٧٧هـ)، المطبعة السلفية و مكتبتها، القاهرة.

١٩٨- **معالم السنن:**
للخطابى ت (٣٨٨هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، سنة (١٤٠١هـ).

١٩٩- **معجم البلدان:**
لياقوت الحموى ت (٦٢٦هـ)، دار الكتاب العربى، بيروت.

٢٠٠- **معجم بلدان فلسطين:**
تأليف: محمد محمد طراب، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٧هـ).

٢٠١- **المعجم الكبير:**
للطبرانى ت (٣٦٠هـ)، مطبعة الوطن، بغداد، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٠هـ).

٢٠٢- **معجم المؤرخين الدمشقيين:**
لصلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٣٩٨هـ).

٢٠٣- **معجم المؤلفين:**
عمر كحالة، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٢٠٤- **معرفة القراء الكبار:**
للذهبى ت (٧٤٨هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف وشعيب الأرناؤوط، وصالح مهدى، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٤هـ).

٢٠٥- **المعين في طبقات المحدثين:**
للذهبي ت (٧٤٨هـ)، تحقيق: همام عبدالرحيم سعيد، دار الفرقان، الأردن، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٤هـ).

٢٠٦- **مفاتيح الفقه الحنبلي:**
تأليف: د/ سالم بن علي الثقفي، الطبعة الأولى، سنة (١٣٩٨هـ).

٢٠٧- **مفتاح دار السعادة:**
لابن القيم ت (٧٥١هـ)، نشر: رئاسة ادارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالرياض.

٢٠٨- **المفردات:**
للراغب الأصفهانى ت (٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلانى طبعة الحلبى، القاهرة، سنة (١٣٨١هـ).

٢٠٩- **المقاصد الحسنة:**
للسخاوى ت (٩٠٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة (١٣٩٩هـ).

٢١٠- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين:**
لأبى الحسن الأشعري، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية سنة (١٣٨٩هـ).

٢١١- **المقصد الأرشد في تراجم أصحاب الامام أحمد:**
ابن مفلح الحنبلى ت (٨٨٤هـ)، تحقيق: د/ عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٠هـ).

٢١٢- **الملل والنحل:**
للشهرستانى ت (٥٤٨هـ)، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، دارالمعرفة، بيروت، سنة (١٤٠٢هـ).

٢١٣- **منادمة الأطلال ومسامرة الخيال:**
ابن بدران ت (١٣٤٦هـ)، المكتب الاسلامى، دمشق الطبعة الثانية، سنة (١٤٠٢هـ).

٢١٤- **مناقب الامام أحمد بن حنبل:**
للعلامة: عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ت (٥٩٧هـ)، تحقيق: د/ عبدالله التركي، الطبعة الأولى، سنة (١٣٩٩هـ).

٢١٥- **منهاج السنة النبوية:**
لابن تيمية ت (٧٢٨هـ) تحقيق: محمد رشاد سالم، طبع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض، الطبعة الأولى.

٢١٦- **المنهج الأحمد:**
للعليمى ت (٩٢٨هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد عادل تويهض، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، سنة (١٤٠٤هـ)، (مخطوط) نسخة مصورة بمركز البحث العلمى بجامعة أم القرى.

٢١٧- **المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى:**
لابن تغردى بردى ت (٨٧٤هـ)، مخطوط بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة.

٢١٨- **موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان:**
للهيثمى ت (٨٠٧هـ)، تحقيق: محمد عبدالرزاق حمزة، دارالكتب العلمية، بيروت.

٢١٩- **موسوعة التاريخ الاسلامية والحضارة الاسلامية:**
د/ أحمد شلبى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الخامسة، سنة (١٩٧٤م).

٢٢٠- **الموسوعة العربية الميسرة:**
دار الشعب، الطبعة الثانية، سنة (١٩٧٢م).

٢٢١- **الموضح لأوهام الجمع والتفريق:**
للخطيب البغدادي ت (٤٦٣هـ)، تحقيق: عبدالرحمن المعلمى، دار الفكر الإسلامى، الطبعة الثانية، (١٤٠٥هـ).

٢٢٢- **الموطأ:**
مالك بن أنس ت (١٧٩هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقى، دار احياء الكتب العربية، الحلبى، القاهرة، بدون تاريخ.

٢٢٣- **ميزان الاعتدال**:
للذهبي ت (٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دارالمعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

٢٢٤- **النبوات**:
لابن تيمية ت (٧٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة (١٤٠٢هـ).

٢٢٥- **النجوم الزاهرة**:
ابن تغرى بردى ت (٧٨٤هـ)، دار الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة (١٣٤٨هـ).

٢٢٦- **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**:
تأليف علي النشار، دار المعارف، مصر، الطبعة السابعة، (١٩٧٧م).

٢٢٧- **النعت الأكمل لأصحاب الامام أحمد بن حنبل**:
للعلامة: محمد بن كمال الدين الغربى ت (١٢١٤هـ)، تحقيق: محمد مطيع، و نزار أباظه، سنة (١٤٠٢هـ)، دار الفكر.

٢٢٨- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**:
المقرى ت (١٠٤٢هـ)، تحقيق: احسان عباس، بيروت، سنة (١٩٦٨م).

٢٢٩- **نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة**:
لمحمد أمين بن فضل الله المجي، ت (١١١١هـ)، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة (١٣٨٧هـ).

٢٣٠- **نهاية الاقدام في علم الكلام**:
للشهرستاني ت (٥٤٨هـ)، تحقيق: الفردجيوم، مكتبة المثنى، بغداد.

٢٣١- **النهاية في غريب الحديث**:
ابن الأثير ت (٦١٦هـ)، تحقيق: محمد أحمد الزواى، ومحمود محمد الطناحى، المكتبة الاسلامية، بيروت، بدون تاريخ.

٢٣٢- **هدية العارفين:**
للبغدادي ت (١٣٣٩هـ)، طبع استانبول، سنة (١٩٥١م).

٢٣٣- **هذه هي الصوفية:**
لعبدالرحمن الوكيل، الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، سنة (١٩٧٩م).

٢٣٤- **الوابل الطيب:**
لابن القيم ت (٧٥١هـ)، تحقيق: اسماعيل الأنصارى، طبعة دار الافتاء، الرياض، بدون تاريخ.

٢٣٥- **الوافي بالوفيات:**
للصفدى ت (٧٦٤هـ)، عناية: س. ريد. رينغ، الطبعة الثانية.

٢٣٦- **الوفيات:**
لابن رافع السلامى ت (٧٧٤هـ)، تحقيق: صالح مهدى عباس مؤسسة الرسالة، سنة (١٤٠٢هـ).

٢٣٧- **وفيات الأعيان:**
لابن خلكان ت (٦٨١هـ)، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت.

فهـــرس الموضوعـــات

الموضوع	الصفحة
القسم الثاني:	٥١
القسم التحقيقي	٥٢
افتتاحية المؤلف وسبب تأليف الكتاب:	٥٣
مقدمة في الرد على الشبه	٥٧
الجواب الأول:	٦٥
الرد على من يقول أنه لافائدةمن العمل مادام المقدر كائن السبب والمسبب بقدر من الله....................................	٦٩
الدعاء من أقوى الأسباب	٧١
الرد على من يقول لافائدة من الدعاء	٧٢
فعل الاسباب لاينافى التوكل على الله	٧٥
الجواب الثاني:	٧٦
الرد على من يحتج بحديث "فحج آدم موسى"	
أقوال الطوائف في الحديث	٧٧
القول الراجح في معنى الحديث	٧٨
الجواب الثالث:	٨١
في بيان الدليل على إبطال الإحتجاج بالقدر في فعل المعاصى	
المحتجون بالقدر على فعل المعاصي أعظم بدعة من المكذبين بالقدر	٨٤
الجواب الرابع:	٩٠
الرد على من يقول أن الله سبحانه وتعالى يكلف العبد مالايطيق	
قول أهل السنة في أفعال العباد	٩٠
قول المعتزلة	٩١
قول الجبرية	٩٢
مذهب الأشعري	٩٥
الفرق بين الأفعال الاختيارية والأفعال الاضطرارية ..	٩٩

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة